مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 4 السّنة: الثّلاثيّ الرّابع 2020 ص: 537- 596

الحيوان في القرآن الكريم بين الحبك والقبول
دراسة وصفيّة تحليليّة

دكتورة/ إيمان محمّد ربيع*

تاريخ الاستلام: 11- 02- 2019 تاريخ القبــول: 01- 12- 2019

الخلاصة: كان العربيّ قبل الإسلام "يعتقد بعلاقة بيّنه وبين الحيوان" [1] فالمستأنس منها جزء لا يتجزّأ من حياته بدويّا كان أو حضريّا، ولأنّ القرآن قائمٌ على العلم المطلق بالنّفس البشريّة وحدودها الظّاهرة والباطنة راعى ذلك، بل زاد عليه؛ فجعل فيما ذكر من حيوانات مدركة حسّاً إشارة وبياناً لحقائق غير حسيّة فالكون بما فيه مجموعة من الرّموز ذات الدّلالات يسعى الإنسان لفكّ شفرتها وفهم معانيها، وهذه الدّراسة تسعى لإيجاد الصّلات الدّلاليّة الدّقيقة لتوظيف الحيوان في القرآن اسماً وحكايّة بتتبع تشكّل وجدان العربي وعلاقته بالحيوان قبل الإسلام، ثمّ كيف حبك القرآن ذلك محقّقا القبول لدى المتلقّي، وذلك برصد أشكال التّواصل وأطرافه، والتّحليل المنهجيّ للنص القرآني في محاولةٍ جادّة للالتّزام بأمر الله سبحانه بتدبر آياته قصد فهمها وتجليّتها.

وعناصر النّص- خاصّة الحبك- تتيح رؤيّة متكاملة للنص: تركيبيا ودلاليّا وتداوليّا وتمنح المتلقّي فهما متكاملا للنص بمختلف أبعاده، إذ تمنح النّص الامتداد والحياة من لحظة نزول الآيات للحظة دخوله عالم المتلقّي أياً كان عصره وثقافته فعلم النّص يستكشف كل ما يحيط بالنّص ليستنطق معانيه سعياً إلى فهمٍ أعمق وكشفاً لما وراء انتظام الكلمات في جمل محدّدة.

* الوقف العلمي بجامعة الملك عبد العزيز جدة، مصر البريد الإلكتروني: eman_rabie@windowslive.com

المنارة للاستشارات

Conclusion:The Arab before Islam "believed in a relationship between him and the animal" because the Qur'an is based on the absolute knowledge of the human soul and its limits and was considerate of what it would accept. This study seeks to find the precise semantic links to the animal's employment in the Quran, a name and a story that traces the formation of the Arabian identity and its relation to the animal before Islam, and then how the Quran formed a coherence between them through the systematic analysis of the Quranic text in a serious attempt to abide by the command of God Almighty to master his verses in order to understand and reflect upon them.

And the elements of the text – especially the coherence – allows an integrated view of the text: syntactic, analytical and deliberative and gives the recipient an integrated understanding of the text in its various dimensions as the elements give extension and life from the moment of the descent of the verses to them entering the world of the recipient, whatever the age and culture. The text explores all that surrounds the text to clarify its meaning in order to understand the deeper meaning revealed beyond the regularity of words in specific sentences.

المقدّمة: ارتبط الإنسان بالحيوان منذ فجر الإنسانيّة، فرافقه وصارعه مصورا ذلك على جدران الكهوف والمعابد كجزءٍ من أحداث تاريخه؛ ليتشكّل الوجدان الإنساني تجاه الحيوان سلباً أو إيجاباً وفق معتقدات، وأفكار موروثة من الإنسان الأوّل امتدّت في من تلاه من أممٍ وحضارات مهما تطوّرت، ولا يختلف اثنان على اهتمام العربي بالحيوان الذي قد يؤثّره على نفسه وولده أحيانا كقول ربيعة بن مقروم [2] عن خيله:

المنارة للاستشارات

وجـــــردا يقـــــرَّبن دون العيـــــال

خـــلال البيـــوت يلكـــن الشّـــكيما [3]

لـذا كانـت دراسـة أحوالـه شـاغل العـرب منـذ الأزل؛ فـألفوا في: أسمائـه وطباعـه وغرائبـه الرّسـائل والكتـب وبوَّبوهـا مـن علـوم اللغـة، ليـأتي الإسـلام مراعيـا كـل ذلـك ومقنّنـا لـه، فأوجـب "الرّفـق بـه في المعاملـة، والإحسـان إليـه في المصاحبة والإقبـال عليـه بحب واعتزاز" [4] مراعيا كل سماته وطبائعه ليرسم بالأمثال القرآنيّة صورا حيّة تكاد تدب متحرّكة بين يديك مثيرةً مشاعر وشجون ليست وليدة لحظة قراءة النّص إنّما هي موروثات بيئيّة وعقديّة ونفسيّة يراعيها النّص القرآني مخاطبا العقل والقلب معا فمبدع النّص –سبحانه- أعلم بصنعته ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [5]؛ لذا يعنى هـذا البحـث بدراسـة خصوصـيّة دلالـة الحيـوان في الـنّص القرآنـي في مقابـل المـوروث الاجتماعي والثّقافي العربي ويتتبّع حبك التّراكيب لأداء المعنى ومدى ما أحدثه من قبول لدى المتلقّي. وهو ما لم يدرس في أبحاث أخرى –فيما أعلم- فالأبحاث التي اطّلعت عليها تناولت صورة الحيوان في القرآن والحديث بالدّراسة البلاغيّة والمعجميّة ومن أهمّها:

1- رسـالة ماجسـتير بعنـوان: "صـورة الحيـوان والطّـير في القـرآن"، تناولـت فيهـا الباحثة تحليل الصّور القرآنيّة التي ذكر بها حيوان أو طير بلاغيا مقسمة إيّاها إلى صور: مفردة، ومركّبة، ومجازيّة ورامزة.

2- رسـالة ماجسـتير بعنـوان "أسمـاء الحيـوان في القـرآن" دراسـة دلاليّـة ومعجـم وتناولـت تصنيف العلمـاء للحيوان في المؤلّفـات العربيّـة القديمـة، وعلـى رأسـها المعلّقـات ثمّ حاول الباحث صناعة معجم لأسماء الحيوان في القرآن.

3- رسـالة ماجسـتير بعنـوان: "التّشـبيه بـالحيوان في الحـديث النّبـوي" دراسـة تحليليّة وصفيّة أوردت بها الباحثة الأحاديث التي شبهت بالحيوان في كتب الصّحاح

المنارة للاستشارات

السّتة، والبحث بابان: الأوّل يبيّن أهمّيّة الحيوان للإنسان ومدى ظهور ذلك في الأدب والشّعر، والثّاني يحلّل الأحاديث بلاغيّاً.

أسماء الحيوان في القرآن: الاسم في جوهره ليس مجرّد رمز يُتّفق عليه للدلالة على عين بذاتها، إنّما هو على بساطته وإيجازه ينقل صورة مركّبة من أوصاف وتفاصيل تستدعي ألوانا من المشاعر والمعلومات المحفوظة في ذاكرة المتلقّي وأسماء الحيوان في القرآن تمتلك خصوصيّة دلاليّة تميّزها عن العناصر اللغويّة الأخرى، إذ تتعدّد مدلولات الاسم الواحد من آيه لأخرى وفق سياقها، بل قد يحمل الاسم دلالات متضادّة أحيانا وفق نمط ورودها، ونجاح مبدع النّص يعتمد على الكفاءة التّبليغيّة والتّواصليّة مثلما يعتمد على كفاءة المتلقّي التّأويليّة فـ "ترتقي قيمة النّص بتلك الكفاءة التي تساعد المتلقّي في فتح مغاليق الدّلالات والقدرة على فك الرّموز ليخرج مخبوء المعنى للنور" [6]، والمكون الدّلالي أخصب المباحث اللسانيّة.

واللغة ليست أداة لنقل الأخبار والخبرات فحسب، بل هي أداة لنقل المشاعر وإثارة العواطف، ومهما اختلف العلماء في وظائف اللغة تظل الوظيفة التّواصليّة أهم وظائفها الحيويّة، فللغة ظلالٌ "تختلف باختلاف الأفراد، وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم، وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم" [7]، وهذا ما راعاه التّركيب القرآني لأنّه كتاب هدايّة (والهدى علاقة بين الوجود الإنساني الصّادق وبين اليقين) [8]، واليقين دلالة نفسيّة متى ما تمكّنت من النّفس واستقرّت فيها يصل تجاوب المتلقّي مع الخطاب أعلى المستويات، ويبلغ أقصى الغايات [9] أمّا الدّلالة اللغويّة فمثقلة بفكر القائل المراد نقله للمخاطَبين على عكس الدّوال الطّبيعيّة التي تقتصر على محض الإشارة.

فان كانت اللسانيات الحديثة تهتمّ بدراسة النّص دلاليا مقسمةً إيَّاه إلى دلالة طبيعيّة ودلالة اجتماعيّة، فإنَّ الآيات التي ذُكر بها حيوان بعينه أولى الأنساق بالدّراسة، خاصّة وقد نظر الإسلام للحيوان نظرة واقعيّة دون تحقير أو تقديس مذكرا البشر بما ينتفعون به من لحومها وشحومها والحوايا والظّهور فحفظ

المنارة للاستشارات

للحيوان حقّه بالرّعايّة، وطيب المعاملة، وتوفير المأوى والمطعم بوثيقة ربانيّة نزلت منذ أكثر من أربعة عشر قرنا سابقة الجمعيات والمنظمات الحقوقيّة الحديثة.

ومن اللافت أن القرآن الكريم سَمَّى بعض السّور بأسماء حيوانات هي وفق ترتيب المصحف: البقرة - الأنعام - النّحل - النّمل - العنكبوت -العاديات - الفيل. فإن كانت لكلّ كلمة في القرآن دلالةٌ خاصّة، ووظيفةٌ معنويّة، فكيف بنا مع اسم السّورة عنوان النّص وأهمّ عتباته!

وقصص الأنبياء التي هي أحسن القصص ارتبطت بالحيوان سواءً أكان على وجه العموم أم الخصوص، فارتبطت قصّة ابني آدم بالغراب، ونوح حمل في سفينته من كل زوجين اثنين، وإبراهيم اطمأن قلبه بتجربته مع أربعةٍ من الطّير وإسماعيل فداه ربه بكبشٍ أملح، وموسى بدأت قصّته بحيّة، وتمام معجزته ثعبان وعذاب قومه ضفادع وقمَّل، وفتنتهم العجل، وقد مُسِخوا بعد فتنة الحيتان قردةً وخنازير، هذا عدا قصّة البقرة التي سُمّيت باسمها أطول سورة في القرآن، ناهيك عن حوت يونس وذئب يوسف، ونعجة داود، وناقة صالح، وحمار عزير، وكلب الفتيّة وفيل أبرهة وبقرات ملك مصر، وطير عيسى الطّيني التي ينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله، أمّا سليمان الذي دعا بملكٍ لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فكان منه أن عُلِّم منطق الطّير فله مع الهدهد قصّة، وبالخيل افتتانا، ومع النّملة حوارا، وإشارة موته الأرضة تأكل عصاه.

وقد ذكر الحيوان في القرآن تلميحا وتصريحا؛ لضرب مثلٍ، أو تفكرٍ واعتبار وليس أبلغ من ذلك لإحداث تأثير في متلقٍّ ارتبط وجدانه بالحيوان منذ فجر الإنسانيّة وهي قصص تضافرت بها جميعا معظم الوسائل اللغويّة؛ لتحقيق قبول النّص، من تلك الوسائل: العموم والشّمول، وكثرة الاستعمال، والخلو من التّعقيد وسعة الانتشار، والجذور التّاريخيّة، والامتداد الثّقافي، فيُضرَب المثل بالحيوان الذي كان للعربي صاحبا وفيا في الحل والتّرحال يقطع معه القفار ويكفل له الغذاء والكساء والسّكن أحيانا -الهودج- ، ويمثّل الوجاهة الاجتماعيّة والثّراء، وذُكرت الحيوانات في القرآن في أحد مواضعَ أربعة: تبيانا لتحريم مثل الخنزير، أو تنفيرا من خُلقٍ ذميم

المنارة للاستشارات

كالحمار، أو دعوة للتفكر مثل الإبل، أو تكريما وتشريفا مثل الخيل، وهو ما سنحلّله وفق معيارين من معايير النّص هما الحبك والقبول.

معايير النّصيّة: ليس النّص مجرّد متواليّة لسانيّة تتتابع كيفما اتّفق، بل هو بناء لساني محكم عرَّفه ديبوجراند ودريسلر بأنّه "حدثٌ تواصليّ تتحقّق نصّيّته إذا اجتمعت له سبعة معايير" [10] والتي تنقسم وفق وظيفتها إلى ثلاث مجموعات:

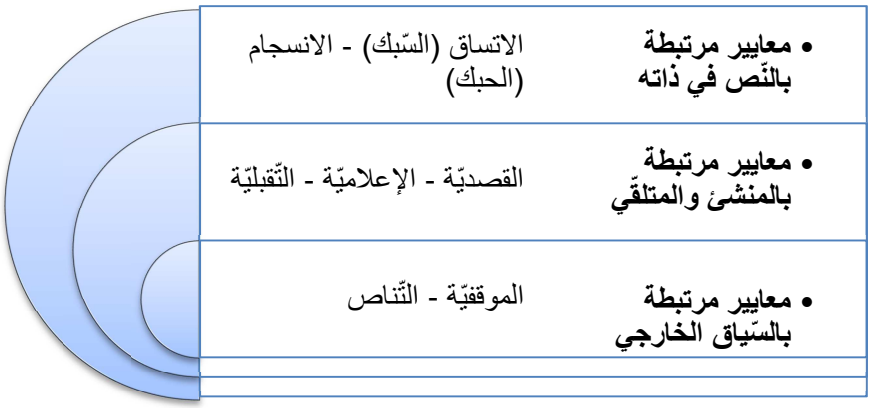

وهي من المرونة التي تمكّنها من التّواجد بعضها أو كلّها في نص واحد "وتعتمد هذه المعايير المستعملة في دراسة النّص وتقويمه على أربعة عوامل هي: "لغوي – اجتماعي –نفسي –ذهني" [11]، والانسجام منظومة المفاهيم السّابحة في فضاء النّص على مستوى المعنى، وتشخيص العلاقات القائمة بينها، ودورها مع السّبك في الوصول إلى مقاصد المنشئ.

الانسجام Coherence: لغة في لسان العرب (س ج م): "سجمت العين الدّمع والسّحابة الماء... إذا سال وانسجم" [12] والكلام المنسجم هو الذي انتظم مِن غير تعقيد، وكان متوافقًا في الأفكار، والشّعور، والميول" [13] **واصطلاحا:** تُرجم بعدّة ترجمات لأهمّيته [14]، أشهرها الحَبْكُ، فالحبك: "الشّد واحتبك بإزاره أي: احتبى به وشدّه إلى يديه" [15]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [16]، فهو أساس دراسة سياق النّص كونه يختصّ "بالاستمراريّة الدّلاليّة المتجلّيّة في منظومة المفاهيم

المنارة للاستشارات

والعلاقات الرّابطة بينها" [17]، فهو: "الطّريقة التي يتمّ بها ربط الأفكار داخل النّص" [18] ومن هنا كان عنصر الحبك مهتمّاً بالأساس بالرّوابط الدّلاليّة الخفيّة داخل النّص، والتي لا تنكشف إلاّ بربطها بما لدى المتلقّي من معارف وخبرات سابقة حتى يتحقّق التّفاعل الاجتماعي الذي يريده منشئ النّص، وهذا يستدعي الوقوف على نوع الدّلالة التي تقود إلى تحليل النّص فتؤوّل الجملة في سياق الجمل السّابقة واللاحقة عليها، ولا يصح تأويل جملةٍ بمعزلٍ عن باقي النّص بما فيه من علاقات خفيّة. وهو ما سبق إليه علماء العربيّة منذ وقت مبكّر كالجرجاني (ت471هـ) مؤسّس "نظريّة النّظم" التي ترتكز على دعائم بلاغيّة ونحويّة، فالنّظم عنده تأليف المعنى الذي لا يستقلّ فيه كلٌ عن آخر، وتتحدّد دلالتّه بالقرائن السّياقيّة والمقاميّة لفظيّة ومعنويّة؛ لذا سميت بنظريّة تضافر القرائن.

وللحبك أدوات هي:

أوّلا- السّياق: مصطلح أصيل في التّراث العربي [19]، فهو: "غرض المتكلّم أو مقصودة من إيراد الكلام مع مراعاة الظّروف التي أحاطت بالنّص والمواقف التي قيل بشأنها" [20]. ظهر الاهتمام به جليّاً في قضايا المشترك اللفظي، والمترادفات والأضداد.. وغيره [21]، فخُصِّص له منذ فجر الدّرس اللغوي حظا وافرا [22] كونه أحد أهمّ أسباب التّماسك النّصي، فاللغة نشاط اجتماعي لا يمكن فهمها إلاّ من خلال المجتمع الذي تواضع عليها. والسّياق نوعان:

- لغوي: سياق المقال (البنيّة)؛
- غير لغوي: (سياق الموقف، وسياق ثقافي، وسياق اجتماعي).

والكلام لا ينكشف إلا من خلال "تسييق الوحدة اللغويّة" [23]، وأهم شروطه [24]:

- تحليل الخطاب اللغوي: صوتاً، وصرفاً، ونحواً، ودلالة؛
- بيان كل من: المنشئ، والمخاطب، والظّروف المحيطة بهما؛
- تحديد نوع الوظيفة الكلاميّة، ثمّ بيان الأثر الذي يُحدِثُه الكلام.

المنارة للاستشارات

فإن كان السّياق مفتاح فهم النّص وتأويلها، فقد لزم علينا معرفة الزّمان والمكان والخلفيّة المعرفيّة لدى المتلقّي العربي الذي نزل فيه القرآن، فالسّياقان: الثّقافي والاجتماعي يحدّدان فهمه للنص والذي يتحقّق "على ضوء معرفته ومعتقداته عن العالم" [25]، بينما يشكّل السّياق الاجتماعي التّراكب الطّبقي الاجتماعي والاقتصادي والبنيّة العامّة للمجتمع، "وما لم يتمّ تقدير المواءمة بين نوع نصٍّ ما ومقام وقوعه؛ فإنّ المشاركين سيعجزون حتى عن تحديد وسائل التّمسّك بمعايير النّصيّة ومداه" [26]؛ لذا لزمنا الاتّكاء على المعارف المتّصلة بالنّصوص موضوع البحث ومنها الشّعر والمثل العربي.

ثانيا- التّأويل **المحلّي**: التّأويل في لغة العرب "تفسير الكلام بغير لفظه" [27] والمتلقّي لا يتأوّل نصّاً بعيداً عن سياقه.

ثالثًا- التّشابه: يعتمد على تراكم النّصوص المشابهة في ذهن المتلقّي؛ ما يتيح له تأويل نصّ باستحضار مشابهٍ له من نصوص سابقة.

رابعا- التّغريض: هو التّأويل الأوّلي لنصٍّ ما، ويعتمد على ثيمةٍ ذات تأثيرٍ على المتلقّي، وقد تكون تلك الثّيمة عنوان النّص، أو جملة شائعة، أو مقولة لها تأثير على تأويل المتلقّي، فإذا تغيَّرت تلك الثّيمة يتغيَّر معها تأويلُ المتلقّي للنص.

خامسا- الخلفيّة **المعرفيّة**: أقرب ما تكون لمبدأ التّشابه؛ فتعتمد على المعارف السّابقة للمتلقي، والتي ترتبط بالنّص في شكله ومضمونه، وهي كذلك شديدة الصّلة بمبدأ التّناص الذي يتضمّن "العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة ثمّ التّعرّف إليها في خبرة سابقة" [28]، والنّص القرآني ذو وحدة نسقيّة مركّبة، لا تنكشف إلاّ بدراسة أشكال التّناص فيه، وتحليل مستوياته.

أنواع التّناص في القرآن الكريم:

1- تناص داخلي: يتجلّى بين مكوّنات النّص مثل: اسم السّورة ومتنها، وبين فواتحها وخواتيمها، وبين الآيات المتشابهات على تفرّق ورودها، وبين السّور ذات الوحدة الموضوعيّة، وكلّها مداخل تأويل تنتج من الدّلالات الشّيء الكثير.

المنارة للاستشارات

2- التّناص الخارجيّ: يتّسع ليشمل علاقة القرآن بالموروث العقدي والتّراث الأدبيّ؛ ليخلق القرآن صيغة تشترك معهما في الصّدى الدّلالي جيئة وذهابا، وهو ما يعرف بتأثير التّليد في الطّارف، فيبقى النّص حيّاً متجدّداً قادراً على إعادة سرد المثل والأسطورة، والقصص الدّيني المتأصّل في ذاكرة الشّعوب.

وسنتناول بالبحث تلك العناصر مجتمعة؛ لفك شفرة رمزيّة الحيوان في القرآن الكريم، ومدى القبول الذي يحقّقه عند ضربه مثلا آخذين في الاعتبار خلفيّة المتلقّي الثّقافيّة والاجتماعيّة والعقديّة أحيانا، والوقوف على بنيّة التّناصّ في القرآن داخليّا فخارجيّا.

وفيما يلي جدول أبجدي يوضح الحيوان في القرآن وعدد ذكره باسم السّورة ورقم الآيّة:

النّوع	اسم الحيوان	السّورة ورقم الآيّة	إجمالي عدد وروده
أوّلا: الثّديات أ) الحلوية من الثّديات:	1.الإبل على اختلاف أسمائها ومنها: الإبل- النّاقة- البحيرة- السّائبة- الوصيلة- ضامر- الجمل – الحام.	المائدة(103) الأنعام(144) الأعراف (73، 40، 77) هود(64) الإسراء(59) الشّعراء (155) الحج(27) القمر(27) الشّمس(13) الغاشيّة(17)	12
	2.البقر: البقرة- البقر- العجل (عجل إبراهيم، وعجل بني إسرائيل)	البقرة 0،71،93،92،54،69,68،51،67 الأنعام(144،146) النّساء(153) الأعراف(148،152) هود(69) طه(88) الذّاريات(26)	17

المنارة للاستشارات

	3.الضّــــأن- النّعجة المعز- ذبح عظيم(الكبش)	الأنعـام(143) صَ(23،24) الصّـافات (107)	4
ب) الرّكويـــة من الثّديات	1- الإبل	سبق ذكره	
	2- البغال	النّحل(8)	1
	3- الحمير- حمر	النّحــل(8) لقمـــان(19) الجمعـــة(5) المدثر(50)	4
	4- الخيل	آل عمـــران(14) الأنفـــال(60) صَ(31) العاديات(1)	4
	5- الفيل	الفيل(1)	1
السّباع مـن الثّديات	1- الذّئب	يوسف(13،14،17)	3
	2- قسـورة- السّبع	المائدة(3) المدثر(51)	2
	3- الكلب	الأعراف(176) الكهف(18،22)	3
المسوخ مـن الثّديات	1- الخنزير	البقـرة (1، 73) المائـدة(3) الأنعـام(145) النّحل(115)	4
	2- القردة	البقرة(65) المائدة(60) الأعراف(166)	3
ثانيـــا – الطّيور	الغراب – غرابيب	المائدة(31) فاطر(27)	2
	السّلوى	البقرة (57) الأعراف(160) طه(80)	3
	الهدهد	النّمل (20)	1
ثالثًا-	الحوت- الحيتان-	الكهف(61،63)الصّافات(142) القلم(48)	4

المنارة للاستشارات

الأسماك	اللحم الطّري(السّمك) صيد البحر وطعامه	الأعراف(163) فاطر(21) المائدة(96)	
رابعا- البرمائيات	الضّفادع	الأعراف(133)	1
خامسا – الزّواحف	الثّعبان – الحيّة	الأعراف(107) الشّعراء(32) طه(20)	3
سادسا – الحشرات	1- البعوضة	البقرة(26)	1
	2- الجراد	الأعراف(133) القمر(7)	2
	3- الذّباب	لحج(73)	1
	4- العنكبوت	العنكبوت(41)	1
	5- الفراش	القارعة(4)	1
	6- القمل	الأعراف(133)	1
	7- النّحل	النّحل(68)	1
	8- النّمل	النّمل(18)	1

العربي والحيوان: صاحب العربي في صحرائه الحيوان (الخيل والإبل) وعادى أيضا حيوان (الحيات والمفترسات)، بل تحكَّم في مزاجه العام أحيانا حيوان (كالغراب) فنظم العرب في الحيوان أكثر من غيرهم منهم من أوقف عليها قصائد كاملة، وجلُّهم افتتح قصائده بوصفها خاصّة الخيل والإبل، فما سُمع عن طباع الحيوان "من الفلاسفة وقرأناه من كتب الأطباء والمتكلّمين ... وجدناه أو قريبا منه في أشعار العرب، وفي معرفة أهل لغتنا وملّتنا" [29]. واقعا كانت أو خيالا كقصّة الفرزدق والذّئب:

وأطلس عسّالٍ وما كان صاحبا

دعوت بناري موهنا فأتانيا [30]

المنارة للاستشارات

واختلفت الصّورة في أشعارهم من حيوان لآخر تكراراً، وتكثيفا، فكانت الإبل ذات مكانة كبيرة، والخيل حصناً منيعاً، والكلب رمز الوفاء، والغنم رمز العطاء والذّئب أبو الحيلة والدّهاء، "فالبدوي متماهي مع بيئته القاسيّة مستأنسا بكل ما دبّ حوله من دواب يتغنّى بها، ويصادق أليفها وينسج حول ضاريها الأساطير منها مستحيلان من أصل ثلاثة – الغول والعنقاء- .

الإبل: اعتقدت العرب قديما –كغيرهم من الأمم- بقدسيّة بعض الحيوانات فكان من اعتقادهم أن الجن تهاب الإبل؛ لأنها تحيض كالمرأة "فعلّقوا كعبها تمائم وتعاويذ لدفع الجن .. ومنهم من يرى أنّها نوعٌ من الجن؛ لذلك آمنوا بوجود قوى خفيّة لبعضها" [31] وصارت مع الوقت عقيدة ويقينا تترجمها طقوس قرابينهم ونذورهم التي نهى الله عنها:﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [32]، وبالآيّة أنواع الإبل التي ابتدعوا تحريمها فالحامي هو"الفحل من الإبل إذا أدرك أولاد أولاد أولاده، فصار ولده جدّاً قالوا حمى ظهره .. اتركوه" [33] وحينها لا يُحمل على ظهره، ولا يُمنع ماء أو كلأ ومنه إغلاق الظّهر أي: نزع أعلى السّنام بضربة سيف، ومنه التّعميّة، والتّفقئة، وكيّ السّليم، وترك الأجرب وهو ما يشير إليه النّابغة الذّبياني بقوله:

لكلّفتني ذنب أمرئ وتركته
كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع [34]

وكلّه من قبيل المباهاة والتّفاخر، أو منعاً للحسد حتى صار معتقدا ودينا فنبّه الله أنّ ذلك كلّه ليس من القربات له كما يدّعون؛ لتبدأ الآيّة بنفيٍ مطلق للفعل عن فاعله (ما جعل) (ما النّافيّة + الفعل الماضي جعل + الفاعل (الله))، والأدب العربي – لاسيما الجاهلي- تميّز عن سائر الآداب بأنّه عني بوصف الإبل عنايّة عجيبة [35]

المنارة للاستشارات

فمن الشّعراء من أوقف عليها القصائد الطّوال ومنهم من صدر قصائده بوصفها كالأعشى يصوّر ناقته محبوبة تشتكي له من طول السّفر وعنائه: [36]

فـــــلا تشـــــتكنّ إلـــــيّ الـــــدّجى

وطـــول السّـــرى واجعليـــه اصـــطبارا

فبرعوا في وصف أدقّ التّفاصيل وقلّما خلت قصائدهم من وصف الإبل فنراها تبتدئ عادة "بوصف الأطلال وبكاء الدّمن، ثمّ تنتقل لوصف رحلات الشّاعر في الصّحراء وحينئذٍ يصف ناقته التي تملأ حسّه ونفسه بحذقٍ ومهارة" [37] كطرفة بن العبد يصدّر معلّقته بقوله [38]:

وإنّـــي لأمضـــي الهـــم عنـــد احتضـــاره

بعوجـــاء مرقـــالٍ تـــروح وتغتـــدي

أمّـــون كـــألواح الأران نصـــأتها

علـــى لاحـــبٍ كأنّـــه ظهـــر برجـــد

وخصّت برسائل لغويّة، وضرب بها المثل في الجاهليّة منه قولهم: [39] "ضربه ضرب غرائب الإبل"، ويقال في شدّة الظّلم، و"أرغوا لها حُوارها تَقرّ" ويضرب للأمر العظيم لا يقع.

لم يُسمّ باسمها سورة في القرآن إلاّ أنّها وردت في أكثر من موضع تلميحا وتصريحا، منه ما جاء مجازيّاً كقوله تعالى: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [40] فالعير الإبل المرحولة المركوبة والمعنى: يا أصحاب العير [41]، ومنها ما كان أمرا مباشرا بوجوب تأمّل خَلْقِها وسلوكها كقوله تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) [42] وكل استفهام بـ (أفلا ينظرون) أو (أوَلم يروا) هو استفهام تقرير لمشاهد مكروره ألِفها القلب لقربها؛ فاستغلقت على التّدبر، فالإبل حيوان الصّحراء العربيّة الأوّل كما هي مقياس ثروة الرّجل - كانت ولا تزال- "وكانت القبيلة تجعل لإبلها علامات خاصّة تميّزها من إبل القبائل الأخرى" [43]، فيُقاس عزّ القبيلة

المنارة للاستشارات

وسؤددها بما يملكه رجالها من إبل تقدّم مهرا للكريمة، وديّة لحقن الدّماء، وخلقها آيّة تذهل اللبيب فينفرد الجمل في مشيته بين ذوات الأربع بتحرك قدما الجانب الأيمن للأمام معا ثم قدما الجانب الآخر وكأنّها تمشى على طرفين لا أربع، ومن غريب طبائعها أنّها تأنس لصوت الحادي فتشد لصوته المسير، وتحزن لموت إحداها فتمتنع عن الطّعام، والجمل على صبره وشدّة تحمله ذو ذاكرة طويلة الأمد، فلا ينسى الإساءة إلى أن ينتقم حتى قالت العرب في أمثالها: "أحقد من جمل" كل هذه المعاني تتداعى لذهن المتلقّي عند مروره بقوله تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) [44] في دعوة صريحة للتفكر تبدأ باستفهام إنكاري (أفلا) يتبعه الفعل (ينظرون) بصيغة المضارعة، فهو أمر حادث متجدّد يوميّاً في حياة العربي الذي اتّخذها مطيّة وصديقا؛ لتسبق كيفيّة خلقها رفع السّموات ونصب الجبال وتسطيح الأرض: (وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ❖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ❖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [45]، فبعد تناول مشهدي أهل الجنّة والنّار في مطلع السّورة والمقابلة بين الوجوه (الخاشعة) لأهل النّار، و(الوجوه النّاعمة) لأهل الجنّة يأتي تأمّل الإبل مدخلاً إلى الإقرار بقدرة الخالق وبديع صنعه وترسم الآيّة "لوحة قاعدتاها السّماء والأرض اتّجاهان أفقيان بينهما في الاتّجاه الرّأسي الجبال والجمال أبرز الأشكال والأحجام على الأرض، والجمل هو الحيوان المناسب في الاتّجاه الرّأسي على كل حال، هو أليف الصّحراء الفسيحة التي تحدّها السّماء والجبال" [46] والتّشابه بين الجمل والجبل من زاويتي الحجم والهيئة يجعلهما ثيمةً لبيئةٍ صعبة يعيش في كنفها العربي بما ييسّر الله له من أدوات ما يستوجب التّفكر والشّكر؛ لتختتم السّورة بأنّها تذكرة قبل الإياب لاستحقاق الحساب ليتمّ الحبك بين البدايّة (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)، والختام ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [47]. فيستدعي عقل المتلقّي مع كلمة الحساب المجملة تفاصيل ذلك الحساب ونتائجه، إمّا وجوه ناصبة في نار حاميّة وطعامها الضّريع، أو وجوه ناعمة راضيّة جزاءَ ما سعت في الدّنيا رضوانا لله وجناته.

المنارة للاستشارات

والصّورة الثّانيّة التي ورد بها الجمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾[48] والآيّة تصف حجم شرر النّار بالجبل، ولونه بالجمالات الصّفر وحركته متتابعة، والعرب تسمّي السّود من الإبل صفرا، قال الشّاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي

هن صفر أولادها كالزّبيب[49]

أي سود، وقيل: سمّيت السّود من الإبل صفرا؛ لأنّه يشوب سوادها شيء من صفرة والشّرر إذا تطاير وسقط وفيه بقيّة من لون النّار أشبه شيء بالإبل السّود لما يشوبها من صفرة، لترسم الآيّة لشرر النّار صورة ثلاثيّة الأبعاد فهي في اللون شديدة السّواد يشوبها صفرة، وفي الضّخامة بحجم الجبال العظيمة، وفي الحركة سريعة تتبع بعضها بعضاً ليتساءل العاقل إن كان هذا حال الشّرر فكيف هي النّار–أعاذنا الله منها– فتحقّق الصّورة أعلى درجات التّخويف.

والآيّة الثّالثّة التي ورد بها الجمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[50] والجمل لن يلجه مطلقا، وكذلك هم لن يدخلوا الجنّة أبدا بالدّليل القطعي.

والرّابعة ناقة صالح التي كانت فتنة لقومه بعد أن سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عظيمة، فخرجت ناقة عشراء وبراء[51] ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾[52] أي: ارتقب ما يصنعون، واصطبر على أذاهم في إشارة للمتلقي بأنّهم سوف يكذبون آيّة الله وسيؤذون نبيه رغم جلاء الحق، في مقابلة واضحة بين تكذيب عاد لصالح، وتكذيب قريش لمحمّد–عليهما السّلام– ، وتتتابع أحداث القصّة بقوله تعالى: (**فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ**)[53]، وهو قدّار بن سالف الذي تناول النّاقة بيده فعقّرها، والقصّة من الموروث التّاريخي تعلّمه العرب قاصيها ودانيها، وعاقر النّاقة

المنارة للاستشارات

معلوم لديهم باسمه وفعله فـ "العرب تسمّي الجزَّار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشئوم آل ثمود" [54]، وقد ذكره الشّعراء في شعرهم[55]، قال المهلهل:

إنّا لنضرب بالسّيوف رءوسهم ضرب القدار نقيعة القدام [56]

وقال زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلّهم كأحمر عاد ثمّ ترضع فتفطم [57]

فلما فصَّل القرآن ما كان من أمر ناقة صالح علم الله- سبحانه- ما لها في نفوس العرب من إعزاز وشرف يستدعي توارد الصّورة حيّة في مخيلتهم مؤلة لنفوسهم لقصّة يعلمونها علم اليقين، ويرون أثرها بيوتا خاويّة على عروشها عند حدودهم يمرّون عليها غدوا ورواحا في رحلاتهم التّجاريّة، ويعلمون أنّها لم تغنِ عنهم من الله شيئا حينها تلين القلوب، لتستقبل الموعظة المتجسّدة في الاستفهام التّقريري بتحقّق العذاب لمن كفر بالله وآياته ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [58]، يتبعه استفهام إنكاري يفيد التّوبيخ بقوله:﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [59] فإن قيست الشدّة فعاد أشدّ، وإن قيس الجمع فعاد أكثر، ممّا يعيدنا إلى مبتدأ السّورة التي افتتحت بآيّة رأتها قريش رأي العين حين انشقّ القمر ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [60] *وكذّبت قريش*، لتتوالى الآيات القرآنيّة بآيات الله المعجزات المرسلة لكلّ قوم كذّبوا رسولهم وتنتهي أحداثها باستحقاق العذاب، وهو ما يقرّره الاستفهام المتكرّر نهايّة كل قصّة ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ *أربع مرّات* [61] خامستها أمر يفيد الوقوع والتّحقّق ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [62] علَّ قريش تتّعظ.

وحين أراد الله أن ينفِّر من الكِبْر جاءت الصّورة الخامسة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [63]، "والصّعر: داء يأخذ البعير فيلوي منه عنقه ويميله" [64] فشبه به المتكبّر الذي يلوي عنقه ويشيح بوجهه عن محدّثه كبرا وغرورا، منه قول عمرو بن حنى التّغلبي:

المنارة للاستشارات

وكنّـــا إذا الجبّـــار صـــعَّر خـــده أقمنـــا لـــه مـــن ميلـــه فتقوَّمـــا [65]

ليحقّق النّص أعلى درجات القبول من متلقٍ عرف من الإبل طبائعها وأدوائها ودوائها بحبك نسيج الآيّة التي تبدأ بالنّهي (لا تصعِّر)، وتنتهي بالتّوكيد (إنّ الله لا يحبّ)؛ ليقرّ في وجدان المتلقّي أنّ الغرور داء وبيل مكروه من الله قبل البشر ليطابق السّياق القرآني سياق الموقف بموروث العربي الثّقافي والاجتماعي، فإن كانت الإبل أقرب حيواناتهم، وأشرف أموالهم، فقد تحقّق بها حبك الآيات التي ذكرت الجنّة والنّار بلفت النّظر إلى بديع خلقها؛ لتكون مدخلا للإيمان بخالق عظيم، فإن كذّبوا.. فليذكروا ناقة صالح التي كذّبها قومه؛ فحقّ عليهم العذاب، فإن استكبروا فالكبر كالصّعار منفّر، وهم أعلم بذلك وأخبر، أمّا معتقداتهم الباطلة في تحريم وتحلّة بعض أنواع الإبل، فهو شرك بالله يعيدنا لوجوب الإيمان به، وامتثال أوامره لتكتمل الدّائرة الإيمانيّة بإفضاء كل أمر لتاليه، فالنّصوص جميعها وحدة نصيّة متكاملة تنتظمها فكرة عقديّة واحدة هي الإيمان بالله وحده.

الخيل: الحصان رمز البطولة والفروسيّة في الحرب والسّلم له مكانة في الجاهليّة حافظ عليها الإسلام، فجعله رمز الجمال في الرّاحة والسّراح، والحصان من أجمل المخلوقات أحبّه الإنسان وكرَّمه منذ بدء الخليقة؛ فكان شريكا أساسيا في كل الأساطير الإنسانيّة من رسومات الفراعنة على جدران معابدهم وكذا بابل، وآشور وحصان طروادة إلى الحكايات الشّعبيّة كالسّيرة الهلاليّة وعنترة بن شدّاد الذي يكفّ صديقته عن لومه بعنايته بفرسه ناصحا مرّة ومهدّدا أخرى بقوله:

لا تـــذكري مُهـــري ومـــا أطعمتـــه

فيكـــون جلـــدك مثـــل جلـــد الأجـــرب

إنّ الغَبُـــوقَ لـــه وأنـــت مســـوءة

فتـــأوّهي مـــا شـــئت ثـــمّ تحـــوّبي [66]

المنارة للاستشارات

ومن عجب تطابق قول امرؤ القيس:

الخـــير مـــا طلعـــت شمـــس ومـــا غربـــت

مطلـــبٌ بنواصـــي الخيـــل معصـــوب [67]

مع قول الرّسول ﷺ: "الخيل معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة" [68] وهي مضرب أمثال العرب، قيل: [69] "أسرع من فرق الخيل" – أي يسابق فيسبق أقرانه بكثير- ، و"الخيل تجري على مساويها" يُقال للحرّ الكريم رغم ما به. أُلّفت فيها الرّسائل، ونُظِّمت فيها القصائد بمختلف الأغراض الأدبيّة فخراً ووصفاً ومدحاً واعتذارا، وتشبيها [70]، ليأتي القرآن موافقا كل ذلك على الإجمال والعموم بقوله تعالى: (**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**) وعلى التّفصيل خصوصا حال الحرب ترجمان ذلك سورة "العاديات، بوصف الخيل لا اسمها، فيقسم تعالى بها في أوّل السّورة، ولا يقسم الله بمخلوق إلاّ لعظمته، فيفصل في خمس آيات متواليات أدقّ حالاتها من الشّكل العام أثناء العدو إلى الضّبح وهو صوت الحمحمة الذي يصدره الحصان أثناء جريه لسعة رئتيه ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [71] فالشّرر المتصاعد من احتكاك حوافرها بالأرض الصّخريّة ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [72]، والغبار الذي تثيره حولها نتيجة الكرّ والفرّ نهار المعركة ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [73] انتهاءً بموافقتها التّامة لفارسها وانقيادها له ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [74] وهذه الصّفة تحديدا تضرب العرب بها المثل فتقول: "الخيل أعلم بفرسانها"، ليسبك النّص في صورة حركيّة مكتملة المشاهد والأركان تصف تفاصيل الزّمان (صبحا)، والمكان (أرض المعركة) والحال (العاديات)، تلفت المتلقّي لما خبره منها بنفسه، فيتحقّق لديه المقبوليّة التي تمهِّد له جواب القسم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [75]، فيقف الذّهن حائرا لإيجاد الرّابط بين القسم وجوابه، ليدرك بعد حين أنّ الله يقابل حالين وتصرفين متناقضين هما: حال الفرس مع فارسه،

المنارة للاستشارات

وانقياده له سلما وحربا، وحال الإنسان مع خالقه وجحوده لفضله، وكفر نعمة ربّه عليه، وهو شهيدٌ على نفسه مرّة في الدّنيا بعلمه بتقصيره وذنبه، ومرّة في الآخرة يوم تأتي كل نفس معها شهيد، ليتأكد النّص بأدوات السّبك وهي: (إنّ) التّوكيد في مطلع كل آيّة و(اللام المزحلقة) (إنّه لكنود + إنّه على ذلك شهيد + لام التّوكيد + إنّه لحب الخير لشديد + لام التّوكيد)، واستخدام صيغتي المبالغة فعول وفعيل مسبوقة بلام الابتداء للتوكيد، ليتمّ الحبك بين أجزاء النّص في انسجام داخلي تام يصل لنتيجة أكدها الاستفهام التّقريري في أوّلها (أفلا يعلم) واستخدام التّوكيد في آخرها (إنّ + لام التّوكيد) وهي حقيقة ألّا شيء سيضيع من عمل الجوارح، ولا حتى القلوب، فيوم الحساب قريب﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [76]، ولو نظرنا لترتيب السّورة في القرآن لوجدناها مسبوقة بسورة "الزّلزلة" وتلحقها سورة "القارعة" في توكيد معنوي لآيات ومشاهد القيامة متحقّقا بذلك التّناص بنوعيه (داخلي) بترتيب الآيات داخل السّورة، وترتيب السّورة بين سابق ولاحق لتتناول ثلاثة السّور مشاهد البعث والحساب، وتناصا خارجيا يحقّقه خبرات المتلقّي العمليّة، ومعرفته بعلاقة الفرس بفارسها وما خبره عنها لينكشف لكل إنسان قدر وفائه وطاعته لربه.

الأنعام والدّواب: للأنعام سورة باسمها في القرآن هي سادس السّور الطّوال (165آيّة) نزلت جملة واحدة وسُمِّيت بذلك لكثرة ورود الأنعام بها، وافتتحت بـ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [77]، والسّورة ذات وحدة واحدة تتناول قضيّة الألوهيّة، وما يتبعها من إيمان بصدق الوحي، وتحقّق النّشور ووقوع الحساب يقينا وكانت العرب تحرِّم أنواعا من الأنعام وتتقرّب للأصنام بأنواع أُخر، فكان اسم السّورة (الأنعام) بصيغة الجمع عتبة النّص، وثيمته الأولى التي يتلقّاها المتلقّي، فتذكر الأنعام على تنوّعها وفوائدها، وحلّها وحرمتها –في اعتقادهم الباطل– وقد تكرّر لفظا (أنعام) و(ودواب) في سياق آيات تشير للحيوان عموما بكل أجناسه، وجميعها

المنارة للاستشارات

تتناغم للفت الانتباه لعظيم خلق الله لتلك الحيوانات على تنوّعها، وكثرة فصائلها فهي تستدعي للعقل منافعها على الإجمال ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ [78] والتّفصيل ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [79]، فتكون أكلا، وشربا وركوبة، وحملا، ومباهاة، وعزا يجمع ذلك كلّه قوله **تعالى الله:** ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٩ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [80]، أو يحبك النّص بتفصيل التّفصيل، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ [81]، فيأتي السّياق مركزا على نعمة واحدة هي اللبن؛ ليتناسب مع سياق الماء في الآيّة السّابقة ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [82]، وسياق العسل في الآيّة اللاحقة ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [83] مستعرضا نعمة الشّراب التي منَّ الله بها على خلقه على اختلاف طعومه ومصادره في مشهد زراعي حيواني بامتياز يستعرض قدرة الله كون المستخرج مخالف في هيئته وطبيعته للمستخلص منه، فاللبن من بين فرث ودم والعسل من زهور الفاكهة فلمّا تعدّدت النّعم عبر عنها بالأنعام، أي: "حمله على معنى الجمع" [84] محقّقا تناصا داخليا شديد الحبك على اختلاف السّور، وتكرار الآيات استدعى الخلفيّة المعرفيّة والصّورة الذّهنيّة للعربي الذي خبر ذلك، وعايشه يوميا حتى اذا تغيرت الثّيمة تلقفها عقل المتلقّي مطمئنا لها مقتنعا بها، فإذا اضطربت النّفس أحيانا بشواغل دنيويّة كالرّزق طمأنها الله أنّه المتكفل برزقه كما تكفل برزق الدّواب التي لا حول لها ولا قوة﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [85] في تناصٍ داخلي يحبكه سياق الموقف الذي نزلت فيه الآيات، فحين أمر الرّسول المسلمين

المنارة للاستشارات

بالهجرة من مكّة للمدينة قالوا: "كيف نقدّم على بلدة ليس لنا فيها معيشة، ؛ لأنّ رزق الكل بأسباب الله المسبب لها وحده؛ لذا قيل: يرزقها وإياكم دون يرزقكم" [86] ليتحقّق انسجام النّص من أوّل كلمة في الآيّة (كأين) وأصلها (أي) دخلت عليها كاف التّشبيه "وصار فيها معنى كم كما صرح به الخليل وسيبوسه وتقديره عندهما كشيء كثير من العدد من دابة" [87] لتقع المقابلة بين هذه النّصوص ونصوص أخرى تدور سياقاتها حول حال الكافرين مشبها إيّاهم بالدّواب ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [88]، بل هم أضلّ، وفي التّعبير تحرز وإنصاف "إذ يذكر (أكثرهم) ولا يعمم، وهي الكثرة التي تتّخذ من الهوى إلاها مطاعا فأولئك كالأنعام، أمّا الإنصاف ففي أنّهم أحط من البهيمة لأنّ البهيمة تهتدي بما أودعها الله من استعدّاد فتؤدّي وظائفها أداءً كاملا صحيحا" [89] ليقابل المتلقّي إن أنصف بين الأنعام كبيرها (كالحلوبة)، وصغيرها (كالنّحل) وقيامها بدورها كاملا وبين الإنسان الذي كفر وتجبر، وتستدعي الآيات للذهن طاعة الأنعام لصاحبها وفاءً لرعايته لها، وطاعة الإنسان لربه على ما أسبغ عليه من نعم، ثم تجيب الآيات عن سؤال ربما تبادر لذهن البعض: أنّى يرزقهم الله على كفرهم لتكن الإجابة أنّ رزق الدّواب كلّها على الله، والمعلوم أنّ كلمة دابة تطلق على ما يدبّ على الأرض ومنها الإنسان، وتحقّق الآيات أعلى درجات التّناص خارجيا بعد أنّ تحقّق داخليا فتقع المقابلة بين سلوكي الأنعام والكافرين لإظهار تناقضٍ يحقّق المقبوليّة وكلمة (أنعام على صيغة جمع الكثرة "أفعال") للمقارنة بين نعم الله على الإنسان وما يقابلها من كفر النّعم بل وكفر بالله أحيانا.

البقرة: لها سورة باسمها هي ثاني سور القرآن وأطولها (286آيّة)، أوّل سورة نزلت بالمدينة تهتمّ بالتّشريع ووضع القوانين المنظّمة للمجتمع كسائر السّور المدنيّة ومجتمع المدينة آنذاك ثلاث: مؤمن، وكافر، ومنافق، وهو أشدّ عداوة للمسلمين فافتتحت السّورة بأربع آيات في المؤمنين فآيتين عن الكافرين، ثم ثلاث عشرة آيّة في

المنارة للاستشارات

المنافقين، ولعلّ في التّرتيب إعجازا عدديّاً يدلّ على نسبة الفئات الثّلاث في المجتمع المدني آنذاك، ولعلّ بها إعجازا كميا يوضّح درجة الخطورة فتجعل نسبة الكفر إلى النّفاق 2 إلى 13 في تنبيه سماوي لكثرة المنافقين، وشدّة خطرهم بما يفوق الكافرين قرابة ستّة أضعاف.

واسم السّورة الذي هو عتبة نصّها إشارة لقصّة موسى عليه السّلام مع قومه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [90]؛ لضرب قتيلهم ببعضها (الذيل) فيحيا بإذن الله دالاً على من قتله، ثم يموت مجدّدا في معجزة باهرة لبني إسرائيل، وبرهانا دامغا لقدرته سبحانه على بعث الموتى ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [91]، فإن كانت السّورة قد قسّمت المجتمع ثلاث فئات فيما يتعلّق بقضيّة الكفر والإيمان، وأوّلها الإيمان بالبعث والنّشور، فإنّ قصّة البقرة كاشفة لقدرته سبحانه على الإحياء بعد الموت والقصّة في توراة اليهود التي تعجّ بهم المدينة آنذاك وبها تلميحٌ وتهديد، فإن كان الله قادرا على أن يفضح المتآمرين فيخرج الحقيقة من ميّت، فهو الأقدر–سبحانه- على فضح المنافقين بإظهار ما في قلوبهم وكما ورد ذكر البقرة مفصّلا مع موسى على سبيل الحقيقة ورد مفصّلا في قصّة يوسف عليه السّلام مع ملك مصر على سبيل الحلم﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ [92]، ووردت ثالثة في قصّة بني إسرائيل مع السّامري الذي صنع لهم ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞۚ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [93].

ولقد قُدِّست البقرة في حضارات وحقب شتّى عند بني إسرائيل وغيرهم، فكان الأجدر أن تُذبح ليضرب الميت ببعضها زمن موسى؛ ليُعلَم أنّ الموت والحياة بيد الله وحده، وأنّ البقر وغيره لا يملك نفعا أو ضرا، وباستعراض السّياقات الثّلاثة التي ذكرت بها البقرة لاحظت أنّها جاءت في معرض الحديث عن سلوكيّات مجتمعيّة سيّئة من اتباع قائد ضلّ فأضلّ (السّامري)، أو ضياع حقّ الضّعيف بكتم الحقيقة

المنارة للاستشارات

(كقتيل بني إسرائيل)، أو الإسراف وقت الانتشاء بالنّعمة (سنين الحصاد) دون خوف زوالها (سنين الجدب- سنى يوسف)، وذلك كلّه يشكّل التّحاما نصّيا بين سلوكيّات اجتماعيّة كفيلة بفساد المجتمع بأسره، فيتحقّق بذلك مقبوليّة رمز البقرة وجعلها ثيمة للضلال والإضلال.

الحمار: في آخر سلّم الرّكوبة من الحيوان، وأقلّها شأنا راعى النّص القرآني ذلك فجاء ترتيبه الأخير في قوله تعالى:﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [94]، فعدّدت الآيّة أنواع الرّكائب مرتبة من الأعلى للأدنى رغم أنّ الحمار الأقدم عهدا في ركوبات العرب فهو "أقدم عهدا من الجمل والخيل والبغال مستأنس من أوائل الألف الثّانيّة قبل الميلاد، فلمّا حلّ الجمل محلّه صار عند العرب في مرتبة دون الجمل بكثير" [95]، ولعلم الله السّابق باستحداث وسائل تنقل أخرى كالسّيارة والطّائرة اختتمت الآيّة بـ (*وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ*).

ذُكر الحمار في القرآن بنوعيه الوحشي والمستأنس والأخير ذُكر مرّة في قصّة عزير حين أراد الله سبحانه أن يريه كيف يحيي الموتى﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [96]، وأخرى تنفيرا من الصّوت العالي في وصايا لقمان لابنه (﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [97]، وبالآيّة تأكيدين هما (إنّ) التّوكيد و(اللام المزحلقة)، وهي وصيّة بالاعتدال في الصّوت سبقتها أخرى بالاعتدال في المشي - أي التّواضع- لتكتمل صورة المتكبر الذي يظهر كبره أوّل ما يظهره في مشيّة متعاليّة، وصوتٍ مرتفع تهاونا بمن هو دونه، والصّورة للتنفير والتّقبيح إذ كان العرب يكنون بالحمار ولا يذكرون اسمه، "وقد عد من مساوئ الآداب أن يُذكر الحمار في مجلس القوم من أولي المروءة.. ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرّحلة" [98] فحريّ أن يهذّبوا أصواتهم بعد هذه الصّورة لما تحقّقه من قبول. وضرب المثل بالحمار ثالثّة في قوله

المنارة للاستشارات

تعـــــالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ [99] وهذا ليس ذمّاً للحمار إذ مهمّته حمل الثّقال وقد أدّاها، لكنّ الصّورة للتنفير من أن ينزل الإنسان لهذه المنزلة، فليس مهمّته حمل الأسفار بل فهمها وتطبيقها فتكون الصّورة منفرة من وجهين: أحدهما الحمار الذي تستنكف منه العرب وثانيهما اليهود الدّ أعداء الأنصار في المدينة آنذاك الذين ضيّعوا أمانتهم بضياع كتبهم يخفون بعضها ويحرّفون بعضا؛ لتحقّق الصّورة قصد المنشئ بقبولها لدى المتلقّي فيحذر المسلمون أن يكونوا أمثالهم بحمل القرآن دون فهمه والعمل به، أو حفظ حروفه وضياع حدوده، وهو ما يستعيذ منه المسلم في كل ركعة يصليها حين يقول: (**غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم**) [100] عالما أنّهم اليهود الذين غضب الله عليهم بما فرطوا في كتابهم–التّوراة- فيتم الالتّحام المعنوي بين النّصين بالحبك.

أمّا الحُمر الوحشيّة التي تهرب من الأسد، فجاءت لتصوير النّافرين من دعوة الله﴿ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴾ [101]، والحمر الوحشيّة ذات حركة هوجاء تهرب متفرّقة، وتجري لغير هدى لا تلوي على شيء [102]، وسلوك الحمر الوحشيّة معلوم لدى العرب صورها شعراء الجاهليّة بدقّة وواقعيّة واصفين سرعتها بالهرب دون استوثاق الخطر، وعيشها في جماعات "ولكل جماعة قائد يقودها، فترد بورده، وتنهض بنهوضه، وتقع بوقوعه" [103] ومن عجيب أمرها أنّها إذا اشتمّت رائحة أسد رمت نفسها عليه من شدّة الخوف تريد الفرار منه [104] وقد اعتادت العرب نسبة الشّيء إلى مكان تواجده، ولعلّ ذلك يفسر تسميّة الأسد بقسورة في الآيّة، فهي كلمة حبشيّة تشير إلى موطن الأسود (غابات إفريقيا) على عادة العرب قديما، وبالصّورة جملة من أوصاف النّافرين عن الحق، فهم مجموعة (كفار قريش) يقودها قائد تأتمر بأمره (صناديد قريش) تهرب من الحق وتنفر من الدّعوة دون استوثاق الأمر (الحق والضّلال)، فكلّما دعاهم رسولهم رموا أنفسهم في التّهلكة (عبادة الأصنام) دون تفكير، فاستعمل الحمار للتنفير، والأسد للترهيب.

المنارة للاستشارات

والآيات سالفة الذّكر جميعا ترتبط بترادف معنوي يشير إلى سوء تصرّف الحمار حال الخوف (كالحمر المستنفرة) هربا من الأسد، وحال الرّاحة (بإطلاق نهيق منكر) وليس له من حمل الأحمال الثّقال سوى المشقّة والجهد، لتصل الآيات بالحبك بينها إلى أعلى درجات التّنفير من تلك الخصال خاصّة وقد وافقت الموروث الثّقافي والاجتماعي لدى المتلقّي.

الفيل: ورد مرة واحدة في سورة مكيّة من القصار (5آيات) تحمل اسمه، وتوثق حادثة الفيل التي أرّخت العرب بها لشهرتها، والخطاب في أولها موجّه لرسول الله مولده - ﷺ- عام الفيل (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**) [105] في إشارة ضمنيّة أنّ الله غالبٌ على أمره في الأولى (بدحر جيش أبرهة ولو استعان بأفيال) هو المنتصر لنبيه في الثّانيّة (بدحر كيد المشركين وأعوانهم)، والغالب أن ينسب الحيوان للإنسان إلاّ أنّهم نُسبوا للفيل لأنّه أملهم وعتادهم، وبالسّورة ثلاثة إعجازات: إعجاز تاريخي عسكري بذكر موقعة شهدها شيوخ قريش، وكاد أن ينساها صغارهم، وهي قصّة تجرُّؤ أبرهة الحبشي الذي أراد أن يهدم الكعبة ليحج النّاس إلى البيت الذي بناه تقرّبا لمَلِكه، فجاء بجيش عظيم العدد وعدته الأفيال فهزموا شرّ هزيمة، وإعجاز بيولوجي في ذكر أسراب طيور لم يروها من قبل لتصنع تقابلا بين صورة الحق المنتصر ولو كان صغيرا (الطّير الأبابيل) وصورة الشّر المندحر، ولو كان كبيرا (الفيل) في مفارقة عجيبة، ثم إعجاز جيولوجي في الحجارة (من سجيل) التي وصفها رسول الله بأنّها من طين أصم من قعر جهنم لتصبح تلك الطّيور أشبه بقاذفات قنابل مهلكة، لذا تصف الصّورة أثر تلك المقذوفات التي تركت من أصابتها (كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) أي كورق الزّرع إذا أكلته الدّواب، فرمت به من أسفل، شبّه تقطّع أوصالهم بتفرّق أجزائه [106]، وكل عذاب يتحقّق في قوم يرد ذكره مع حرف الجرّ "على" فقال تعالى (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) [107] ليفيد الاستعلاء والتّسلط وتأكيد وقوعه دون رد.

المنارة للاستشارات

والحبك في السّورة مع أوّل أحرفها (همزة الاستفهام في قوله "ألم") مقترنة بالفعل المضارع (ترَ)؛ ليكون استفهاما تقريريا لكل من رأى رؤيّة عينيّة، فشهد الواقعة يوم حدثت، أو رؤيّة قلبيّة فعلم بنهايّة الطّاغيّة –أبرهة أو غيره وإن عظم- فالأمر متجدّد الحدوث في كل زمان ومكان أفاد ذلك استخدام الفعل في صورة المضارع والسّورة تسليّة لرسول الله وتخويفا لقريش التي مازال كبارها يذكرون الواقعة يرويها السّلف للخلف ليتردّد صدى النّص في ذهنيّة المتلقّي بعد قبوله ويتفكّر في قدرة الله على أصحاب الفيل الذين دمّرهم الله بأصغر جنده (الطّير الأبابيل) فما باله بقدرته –سبحانه- عليه وهو دون ذلك عددا وعدّة.

وورود سورة الفيل بعد سورتي العصر والهمزة يليها سورة قريش يحقّق تناصا معنويّاً داخليّاً شديد الحبك ليرسِّخ لدى المتلقّي غرض المنشئ –سبحانه- الذي أقسم بأنّ الإنسان في خسر مادام كافرا (سورة العصر)، فلن يغني عنه ماله من دون الله شيئا (سورة الهمزة) كما لن تغني عنه قوّته شيئا (سورة الفيل)؛ فلتتعظ قريش وتؤمن برب هذا البيت الذي أغناهم وأمّنهم (سورة قريش) في تماسك نصي يحقّق المقبوليّة لدى المتلقّي الذي يتوافق النّص مع موروثه التّاريخي مثل قصّة الفيل وموروثه الاجتماعي برحلة الشّتاء والصّيف، وموروثه العقدي الذي يُلجئه لله حال الخوف.

الكلب: رسم شعراء الجاهليّة لوحاتهم الفنيّة الكبرى للصيد ببطلين رئيسيين هما الكلب وثور الوحش، فمنذ القدم والعربي يتعامل مع الكلب بواقعيّة شديدة لا يفتخر به ولا يتشاءم منه، بل كان حارسا أمينا وصيادا ماهرا ضمَّن ذلك أبيات شعره، ولأنّه على باب بيته سهّلت متابعة سلوكه ومراقبة تصرّفه حسنه وقبيحه فقلّة نباحه دليل كرم أصحابه الذين اعتادوا إكرام الضّيف وعابر السّبيل، فوظّف القرآن الكريم هذا التّصور الإيجابي عن الكلب ذاكرا أصحاب الكهف وكلبهم باسط الذّراعين بمدخل الغار (**وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**) [108] تلك الهيئة التي خبرها العرب تماما من ملازمته.

المنارة للاستشارات

وثاني الصّور القرآنيّة تصف لهاث الكلب كسلوك ملازم له (واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ...﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [109] ضُرب مثلا للذين بحثوا عن حقيقة الخلق، فهيّأ الله لهم المعرفة، ففرّوا منها وصدّوا عن الحق تطاردهم أهواؤهم، فلا هم استراحوا بالجهل، ولا تمسّكوا بالمعرفة، فكانوا كمثل الكلب الذي يلهث على كل حال، وقد أثبت العلماء حديثا أنّ لهاث الكلب يبدأ منذ كان جنينا إلى موته [110] نتيجة عدم وجود مسامّات على جلده تنظم درجة حرارة جسده فيخرج الزّائد منها باللهاث، ليكن المعرض عن آيات الله بعد معرفتها كمن سُلخ جلده فهو دائم اللهاث كالكلب، وهو بذلك هالك لا محالة ولأنّ العرب واقعيّة في تعاملها مع الكلب ضرب الله سبحانه بالكلب مثالين واقعيين مشاهدين من أحواله وتلازم تصرّفه (بسط الذّراعين في الجلوس، واللهاث على كل حال).

الطّير: ورد في القرآن بلفظه العام (طير) أو باسم جنسه (السّلوى، والهدهد وغراب وأبابيل)، ومن أشهر الصّور التي وظّفت الطّير في القرآن الاستعارة المكنيّة في قوله تعالى:﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [111]، فالطّائر لا يخفض جناحيه إلا حنوا على صغاره، أو خضوعا وتذللا لطائرٍ أقوى منه، وكلا الحالين يصفان تعامل الابن البار مع أبويه من خضوعٍ لهما في شبابهما وقوّتهما، وحنو عليهما عند كبرهما وضعفهما، لتكن الصّورة محبوكة ببضع كلمات مفادها الخضوع والحنو ممتدّة زمنيّاً مع عمر الآباء مراعيّة نفسيتهم شاملة لآداب معاملتهم، وهو ما أوجزه علماؤنا الأوائل بقولهم في تفسير الآيّة: " النّ كنفك لهم، ودم على لطفك بهم" [112]، وهي ليست خاصّة بالوالدّين فحسب، بل هو سلوك المؤمنين مع بعضهم البعض **(وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)** [113] بأمر مباشر من الله سبحانه في الحالين والجناح آلة رفعٍ يعبّر عنها في القرآن بالخفض؛ ليتحقّق بهذه المقابلة قصد المنشئ وهو أنّ كل خفض

المنارة للاستشارات

ولـيّن مـع الوالـدّين يرفـع صـاحبه في الـدّنيا والآخـرة فأوجـب الله برّهمـا ولـو كانـا كافرين، وقدّم البرّ على الجهاد في أعظم الأعمال إلى الله.

وفي وصف المشرك بالله وتخبطه وضياعه قال تعالى:﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [114]، في صـورة قريبـة المأخـذ للعربـي السّـاكن الصّـحراء، ومـا يـراه مـن اجتمـاع الغربـان والنّسـور علـى الفـرائس والجيـف، وكـذا المشـرك يجتمـع عليـه التّخبـط وسـرعة السّـقوط والافـتراس وكلّهـا مهالك إن نجا من إحداها أهلكته الأخرى.

أمّـا قولـه تعـالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [115]، فيربط الطّائر بصحيفة الأعمال في تناصٍ خارجي يربط بين الآيّة وما أُثر عن العرب من تفاؤل وتشاؤم مترسّخ في الخبرة الاجتماعيّة المحفورة في عصب النّاس، ونقْلها بصورة فنيّة لفكرة رامزة، فإن كانت في معتقداتهم أنّ "الهامّة" طائر يخرج من رأس المقتول يصيح: "اسقوني.. اسقوني" مطالبا بالثّأر ممّن قتله [116] فإنّ صحيفة الأعمال ملتزمة بعنق صاحبها؛ إذ هي صنع يديه إن خيراً أو شرّاً تنتظر وفاء الحقوق، وتفسير الآيّة: "إنّا جعلنا لكلّ إنسان دليلا من نفسه على ما بيّناه له" [117]، لتكن الفكرة أكثر مقبوليّة عند متلقٍ رُبط الطّير لديه بفكرتي التّفاؤل التّشاؤم التي تمّ حبكها بتناص داخلي يربط التّشاؤم بالطّير في عدّة مواضع قرآنيّة أخرى وتناص خارجي يسخِّر الخبرة الاجتماعيّة الرّاسخة لدى العرب آنذاك والمتمثّلة في فكرة التّطير مع التّلميح لما اعتقدوه من أسطورة الهامّة، وبطلانها إذ كل إنسان طائره في عنقه، أي: صنيعة ما فعل بإرادته؛ لذلك سيكون على نفسه حسيبا يوم القيامة ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (**ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**) [118]، ويؤكّد هذا المعنى إضافة "كاف

المنارة للاستشارات

الخطاب" في (كتابك)، و(نفسك)، و(عليك) فكل إنسان سيكون شاهدا على ما فعله بنفسه وما سُجِّل عليه في كتاب أعماله.

والتّشبيهات القرآنيّة دائما تخاطب الإنسان من غير قيدي الزّمان والمكان و"التّطيّر من الشّيء وبالشّيء ما يتشاءم به من الفأل الرّديء" [119]، وديدن المكذّبين التّطيّر بالرّسل منه قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ﴾ [120] وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [121] وقد أبطل الإسلام التّطيّر في السّنّة كما في القرآن فقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامّة ولا صفر" [122] وحارب القرآن التّشاؤم بالطّير فجعله مسخّرا على سبيل التّفاؤل مع داود وسليمان- عليهما السّلام- وأخبر أنّ الطّيور أُمم لها لغة ومنطق عقلي من عرفها أُعطي نعمة تستوجب الحمد كما ورد على لسان سليمان حين قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [123]، فقدّم تلك النّعمة على كل ما أُوتي من فضل فكانت قصّته مع منطق الطّير على سبيل العموم في سياق الآيّة السّابقة، أمّا على سبيل الخصوص فكان للهدهد ذكر مفصل، فهو موفد سياسي وسببا في هدايّة مملكة سبأ قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [124] والفعل تفقّد -بالتّشديد- يعني استطلاع ومتابعة ما هو موجود بالفعل وإن كان سليمان قد أُوتي النّبوّة والملك، فإنّ الله يعلّمنا من قصّته دعائم تثبيت ذلك الملك أوّلها تفقد العاملين، ومتابعة أمرهم بنفسه وثانيها عقاب من لم يلتزم قوانين المملكة ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [125] ليس عتوّا في الأرض أو فسادا لذا عطف الجملة بـ (أو) التّخيير إن كانت حجّة الغياب مقنعة وهي ثالثٌ دعائم الحكم (سن القوانين)، ثم تطبيقها على الجميع مع سماع حجّة المذنبين وغياب الهدهد يشي أن سليمان منح بعض الحريات لبعض جنده، ولم يجبرهم جبرا ما داموا يحسنون التّصرف، ليأتي الهدهد من غير تأخير بحجة غيابه المبرِّئة له

المنارة للاستشارات

فيعاجل سليمان بالإيضاح قبل استفهامه (**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**) [126]، ليتّضح الأمر ببلاغة تسترعي الانتباه وتثير الفضول فالجملة على قصرها فيها مقابلة (أحطّت/لم تحطّ)، وفيها جناس ناقص (سبأ/ ونبأ) ولفظ نبأ فيه من الدّقّة التي يتأوّلها السّامع مباشرة بأنّ الأمر عظيم ويحيلنا لقوله تعالى: (**عمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العظيم**)، [127] فالأنباء في اللغة أدقّ من الأخبار فالأخيرة يُراد بها مطلق الخبر، وإن كان خبرا عاديا عكس النّبأ الذي يراد به الشّيء العجيب وفي الآيّة شرح لقضيّة المحاورة بين غير المتكافئين، وقوّة صوت الحقّ ولو كان من الأدنى للأعلى، وأدب الاستماع ولو كان للأدنى، فالحوار رابع دعائم الملك "يوقظ العواطف والانفعالات، ممّا يساعد على تربيتها وتوجيهها نحو المثل الأعلى كما أنّ له نتائج سلوكيّة طيّبة" [128]؛ ليعطي سليمان بذلك صورة مثاليّة للقائد الحقّ الذي لم يستشعر الضّعف مقابل هدهد وصف نفسه بأنّه أحاط بما لم يُحط به النّبيّ الملك، بل استشعر النّعمة أن سخّر له الله من لدنه من يحيط بما لم يحِط هو به فالقصّة وإن كانت عن سليمان عليه السّلام إلاّ أنّها ككل الآيات المدنيّة تضع قواعد وقوانين المجتمع لتنظم العلاقة المثاليّة بين القائد وجنده في كل زمان ومكان. وتحتبك القصّة بتتابع السّياق على لسان الهدهد واصفا ما رأى من ملكة سبأ، وعظمة عرشها وعظيم نعم الله عليها في تقرير موجز عن حال الخصم قبل مواجهته، ثم شدّة تعجبه من أن يعطيها الله من كل شيء فترد نعمه بالكفر به والسّجود للشمس ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [129] فأوّل صفات الله على لسان الهدهد أنّه –سبحانه- يخرج الخبأ والهدهد خبير في ذلك يرى المخبوء في باطن الأرض ويعلم أماكن هطول المطر ويعرف يقينا علم الله بالسّر والعلن، فكيف يغفل بشر عن إدراك تلك المعاني، فكان تقدير سليمان لجهوده أن جعله سفيره إليهم حاملا كتابه، ثم عينا عليهم، [130] والهدهد ثيمة النّص، وبطل القصّة؛ فهو المتّهم أوّلا، فالبطل تاليا، ثم القائم بأعمال

المنارة للاستشارات

الدّاعي إلى الله موقنا بوحدانيته مستدلا عليه بصفاته؛ ليتلقى القارئ تلك الثّيمة مقارنا موقف الهدهد وهو الطّائر الضّعيف بالإنسان العاقل الرّشيد.

والطّير بطل قصّة إبراهيم عليه السّلام حين سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى والسّؤال عن كيفيّة الإحياء لا عن وقوعه، حتى يطمئن قلبه لا لقدرة الله على الإحياء –حاشاه- بل لدرء الفكر عن تخيّلات كيفيّة ذلك الإحياء؛ لذا جاء ردّ الله عليه أنّ ما يطلب لن يتمّ بسماع الكيفيّة وشروحها، بل بالمشاهدة الحيّة والتّجربة العمليّة فكان الأمر الإلاهي ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [131] و(من) للتبعيض، أي أربعة طيور مختلفة الأجناس، حتى لا يتوهّم تكرار نوع الطّير، وأمره بذبحها وخلطها، ثم ﴿اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [132] وحبكت الجملة بلفظة السّعي لتتمّ التّجربة العمليّة لإبراهيم فيحقّق بالمشاهدة كيفيّة الإحياء، وتكن نتيجة تجربته بين يديه قريبة المأخذ لا طيرا في السّماء قد يفوته بعض ملاحظته، بل طيورا تسعى إليه على قوائمها فإن كان النّص يخبرنا عن طير حقيقي حيي بأمر الله بعد ذبحه بقدرة منحها الله لإبراهيم، فإنّ الذّاكرة تستدعي قدرة مشابهة منحها الله لعيسى حين يخلق من الطّين كهيئة الطّير... فيكون طيرا بإذن الله، ليحقّق التّناص الدّاخلي قبولا لفكرة أنّ الله إذا أراد شيئا كان ولو بمنح الضّعيف قوّة من عنده، لذلك تختتم الآيتان بأنّ الله (عزيز) لا يغلبه شيء (حكيم) يضع الأمور في تمام موضعها، وهو ما يتمشّى مع سياق الآيات التي تروي قصّة إبراهيم مع النّمرود الذي ادعى الألوهيّة والقدرة على الإحياء والإماتة، فضرب الله في السّورة نفسها مثلين للقدرة الحقّة على الإحياء أحدها حمار عزير، وثانيها طير إبراهيم، وكلا القصّتين تخاطبان قوما ينكرون البعث قائلين ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [133]، ليكن الرّد الإلاهي الموجز المعجز: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [134]، فيتمّ الحبك داخليا بين كلمات الآيّة، وبين الآيّة والسّورة، وبين السّورة وآيات أُخر متفرّقة كلّها تتناول قضيّة الإحياء والإماتة للرد

المنارة للاستشارات

على منكري البعث يحقّق قبول ذلك كلّه لدى المتلقّي التّناص الخارجي مع الموروث التّاريخي الذي يعرفه العرب عن قصّة طير إبراهيم وحمار عزير، وطين عيسى، وهو ما يعلمه أهل الكتاب من التّوراة والإنجيل.

الغراب: ذو رمزيّة وثنيّة لدى ثقافات الشّعوب والأمم ارتبط في الذّهنيّة الإنسانيّة بالسّحر والشّعوذة، جعلوه حمام الموت، وصوته نذير شؤم ورحيل سواءً أكان رحيلا عن الدّيار، أم رحيلا من الدّنيا عبَّر عن ذلك عنترة فقال:

ظعـــــن الـــــذين فـــــراقهم أتوقـــــع

وجـــــرى ببيـــــنهم الغـــــراب الأبقـــــع [135]

سمّاه ابن قدامة: غراب البين –أي الفراق- لأنّه لم يعدّ لنوح حين أرسله من السّفينة ليكشف خبر الأرض عكس الحمامة التي أُمرت فأطاعت عائدة بغصن الزّيتون؛ فرمزت للسلام والاستقرار إلى يومنا هذا، وبغض النّظر عن صحّة هذه الموروثات من عدمها إلاّ إنّها محفورة في ذاكرة البشر مشكِّلة المزاج العام سلبا أو إيجابا والغراب في ذاكرة الإنسانيّة ذو تصوّر سلبي يربط بين صوته، ولونه، وقبح منظره وعدم اتساق مشيته، وبين وقوع المصائب، وهو موروث ثقافي تجمعه العرب بقولها: أشأم من غراب، فهو "أكثر من جميع ما يتطيّر به في باب الشّؤم" [136] ولم يشفع له كونه أوّل من علم الإنسان الدّفن. وقد أثبت علماء الطّيور أن للغراب مملكة بها حكومة وقضاة ومحكومين، ومشاهدة إحدى محاكماتهم تدعو للدّهشة والإعجاب [137]، وفي قصّة ابني آدم قابيل وهابيل التي اجتمع فيها بغيٌ وقطيعة رحم كان الغراب البطل الثّالث الذي حضر بعد جريمة القتل بقليل دلّ على ذلك التّعقيب بـ (فاء العطف) قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ ﴾ [138] ليتمّم الغراب ما عجز ابن آدم عن فعله، ويعلمه كيفيّة مواراة الموتى في جريمة هي بحق أشام من غراب، وتتنوّع أزمنة أفعال الآيّة بين ماضٍ ومضارع، فالفعل (بعث) في الزّمن الماضي يفيد إيكال الدّفن للغراب، و(أصبح) في الزّمن الماضي يفيد تحقّق

المنارة للاستشارات

الخسران لابن آدم، ولكل من سوّلت له نفسه ارتكاب قتل نفس محرّمة، والأفعال بعدها بصيغة المضارع تصف حركة البحث في الأرض (وهي إثارة الغبار والحفر) وتصف إتمام الغراب لعمليّة الدّفن بالتّجربة المرئيّة، ولا أدلّ من الفعل المضارع على وصف تلك المشاهد، لتحقيق الحبك بين عناصر النّص، وهو ما يؤكّده استفهام قابيل الانكاري (أعجزتُ) مقرّاً ببشاعة جرمه، وشدّة قصوره أن يفعل ما فعل الغراب إكراما لجثمان أخيه، وإضافة هاء الغائب إلى كلمة (أخيه) نوع من التّبكيت للعاصي وتسليط الضّوء على بشاعة الجريمة، لذا استحقّ قابيل من الله تحقّق النّدم بعد الخسران، أمّا تكرار كلمة (أخيه) مرّتين فتشير إلى شناعة الجُرم من وجهين، الأوّل: سفك الدّم والثّاني: قطع أواصر الأخوة، ولأنّ الضّدّ بضدّه يُعرف جاءت ثيمة النّص (أخ) مرّة مع موسى للدلالة على المحبّة والاهتمام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ ﴾ [139] ومرّة مع قابيل للدلالة على الغدر والخسّة محقّقة حبكا داخليا في السّورة أُريد به قبول المتلقّي، وإيمانه بعظم ذنب القاتل وهو المذكور في التّوراة والإنجيل إلاّ أنّ بني إسرائيل أسرفوا في القتل رغم عظم الجرم قال تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴾ [140] والقصّة نسيج محكم يبدأ بالسّرد وينتهي بإقرار تشريعات تنظم المجتمع وتحافظ على أسمى ثرواته - النّفس البشريّة- ، فتنتظم سبع الآيات التّاليات مع هذه الآيّة في إطار واحد بقوله:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ ﴾ [141] ليحقّق الأسلوب التّصوري مع الأفعال المضارعة المضعفة الرّدع المطلوب لأمان المجتمع وأمنه.

المنارة للاستشارات

وهكذا تتناص النّصوص القرآنيّة في صور تستدعي الموروث الثّقافي لدى المتلقّي لتصحّح مفهوم التّطيّر المبني على الخرافات، فترسِّخ في الذّهن أنّ طائر كل إنسان في عنقه ملازما له نتيجة عمله، وأنّ الطّير على صغره ذو دور عظيم لأنّه على فطرة الله التي فطر الخلق عليها، فالهدهد سفير سليمان –عليه السّلام- والغراب معلّما لابن آدم وطير إبراهيم طمأن قلبه، فإن كان للإنسان أن يتطيّر، فليكن تطيّره من سوء فعله.

الحشرات: ذُكر في القرآن ثمانيّة أنواع منها، هي: النّملة، والنّحل، ودابة الأرض– الأرضة- ، والفراش، والجراد، والقمّل، والذّباب، والعنكبوت –إن صحّ اعتبارها كذلك فالعلماء يجعلون للمفصليات جنساً مستقلاً- ، وهي في السّياق القرآني بين ضرب المثل (كالذّباب والعنكبوت)، أو آيّة عذاب (كالجراد والقمل)، أو محل إشادة (كالنّحل والنّمل).

الفراش والجراد: لم يجتمعا في آيّة واحدة لكنّهما توحدا في السّياق، حيث جاءت صورتاهما في وصف خروج النّاس للبعث في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ [142] ،﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [143] والفراش المبثوث أي: المنبعث من شرنقته الخارج توا منها والفراش على كثرة أنواعه "200 ألف نوع" [144] يخرج جميعه من الشّرنقة مندفعا، وفي الآيّة إشارة للكم والكيف والاعتبار الذي سيخرج به النّاس يوم القيامة، فالأعداد هائلة إن تخيلنا البشر منذ خلق آدم إلى قيام السّاعة يخرجون جميعا في آن واحد ممّا يصيبهم بالذّهول فيسوقهم الدّاعي إلى أرض المحشر مضطربين منتشرين في اندفاع الخائف المرعوب وهم على جمعهم لا وزن لهم ولا اعتبار، والصّورة تُحدث في النّفس الرّهبة المطلوبة ليراقب كلٌ عمله قبل طيشه وتهوره، فالفراش مضرب المثل عند العرب يقال: "أطيش من فراشة" ؛ لذا يحقّق التّناص الخارجي قبولا بصورة حسيّة مكتملة الأركان توافق مرئيات المتلقّي، ولا تخالف المخزون الثّقافي لديه.

المنارة للاستشارات

أمّا التّشبيه بالجراد المنتشر، فمن المعلوم أنّه يطير جماعات "فإذا رأت النّبات تفرّقت بسرعة فيقال جراد منتشر، وهو ينقاد لرئيسه كالعسكر يتبعه ظعنا ونزولا ولعابه سم ناقع للنبات لا يقع على شيء إلاّ هلك" [145]، ومن هنا جاء المثل: "كالجراد يقضي على الأخضر واليابس"، لذا كان الجراد من آيات العذاب لقوم فرعون ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ﴾ [146]، وكل من عتى حاربه الله بأصغر خلقه وكل خلقه جند مسخّرة بأمره، والجراد والفراش مختلفو الفصائل متباينو الحركة لكن الجامع بينهما الانتشار، "فلا تعارض في تشبيه الخارجين يوم الحشر بهما فقيل: يكونون أوّلا كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون أين يتوجّهون ثم كالجراد المنتشر إذا توجهوا إلى المحشر" [147]، فهما تشبيهان باعتبار وقتين مختلفين، وكلتا الآيتين وردتا في سورتين اختصّتا بمشاهد يوم القيامة (القمر والقارعة) وكلاً المثالين قريب المأخذ معلوم من البيئة.

العنكبوت: له سورة باسمه في القرآن الكريم موضوعها العقيدة التي قوامها الإيمان بالله، وكان المسلمون بمكّة وقت نزولها قد ذاقوا من الفتن والبلايا الشّيء الكثير أشدّها أذى القريب؛ فنزلت السّورة متناولة أنواع الفتن والابتلاء مسريّة عنهم بقصص أكثر الرّسل ابتلاء، ليعلم المتلقّي أن ديدن الحياة الفتن؛ لذا افتتحت السّورة باستفهام تقريري ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [148]، ثمّ يضرب الله المثل لمن اتّخذ إلاها غيره ظانا أنّه قد يغني عنه من الله شيئا بالعنكبوت تبني بيتا لا تعلم أنّه من أوهن البيوت ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [149]، ويؤكّد الله سبحانه الجمع بينهما بتكرار كلمة (مثل) واستخدام كاف التّشبيه (كمثل) والتّوكيد بلام المزحلقة (لبيت) ويختتم النّص بشرط غير جازم (لو كانوا يعلمون)؛ للربط بين بدايّة الآيّة ونهايتها؛ ليفيد حبك الجملة تقريرها، وأدوات الحبك (لو الشّرطيّة + الإحالة بالضّمير على سابق (واو

المنارة للاستشارات

الجماعة) في الفعلين (كانوا)، و(يعلمون)، فلو "صحّ تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت، وقد صحّ أنّه أوهن البيوت، فقد تبين أنّ دينهم هو أوهن الأديان لو كانوا يعلمون" [150]، والمشابهة هنا لا تقع على الكافرين فقط بل هي تلفت المتلقّي للبيوت الواهيّة التي أُقيمت على هشاشة العلاقات بين أفرادها فالعلم الحديث كشف عن نوع من العناكب تعدّ الأخطر لسمّيتها تُعرف بالأرملة السّوداء واسمها العلمي Latrodectus mactans، وهي أسوأ مثل للبيوت، حيث تقوم الأنثى بقتل الذّكر وأكله بمجرد تلقيحها، ثم تعتني بالبيض إلى أن يفقس فإذا اشتدّ عود الصّغار تكاثروا على الأم ليقتلوها، ويتغذّون عليها [151]، لذا جاءت (أوهن) على أفعل التّفضيل، فلن يكون أسوأ من بيت العنكبوت بيتا لا روابط فيه بين أفراده، و(تعلمون) على صيغة المضارع يدلّ على حال (علم كفار قريش بشكل بيت العنكبوت ظاهريا) والاستقبال فيما يكشف عنه العلم الحديث ليتمّ التّناص بين المعنيين لمن شاء أن يتدبر، فكما بيت العنكبوت لا يغني شيئا كذلك آلهتهم من دون الله لن تغني عنهم شيئا. وكما تقوم العلاقة بين تلك العناكب على منفعة وغدر وتنكر، كذلك ستكون العلاقة بينهم يوم القيامة فتنقلب الزّمر الباطلة خصوما ولأنّ القران يفسّر بعضه بعضا في تماسك معنوي تتوارد للذهن صورة النّتيجة حين يتنادون يوم القيامة في النّار بأنّ (هؤلاء أضلّونا فآتهم عذابا ضعفا من النّار) [152] لتأت الإجابة الحاسمة (لكل ضعف) [153].

الذّباب: وسبب تسميته ذبابا أورده الشّاعر في قوله:

إنَّمَـــا سُـــمِّيَ الـــذّبَابُ ذُبَابًـــا

حَيْـــثُ يَهْـــوِي وكُلَّمَـــا ذُبَّ آبَ

عُرف بالتّطفل والإلحاح على الشّيء، والوقوع على الجيف، ومن أمثال العرب "أَوْهَى من ذُبَابٍ"، و"ألح من الذّبَاب"، و" أخطأ من ذُبَاب"، لذا قال علي بن أبي طالب: "والنّاس صنفان صنف كالنّحل لا يقع إلاّ على الطّيّب، وصنف كالذّباب لا يقع إلاّ

المنارة للاستشارات

على الجيف"، وضرب الله به المثل لكثرته، ومهانته، واستقذاره، وضعفه آمرا بالاستماع –والاستماع أوعى من السّماع، فقال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ**)، ليصوّر سبحانه مراحل عجزهم التي تبدأ باستحالة خلق آلهتهم مجتمعين لذبابة واحدة على قلّتها وضعفها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [154] يؤكّد تلك الحقيقة الثّابتة استخدام صيغة الماضي (اجتمعوا) وهو الأسلوب القرآني المتبع في الحقائق الإيمانيّة أكانت حاليّة أم مستقبليّة، وتنتهي بعجزهم عن استخلاص ما سلبهم الذّباب (**وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ**) *لتقرر الآيّة بعد ذلك الحقيقة الجليّة* ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [155] فيقبلها عقل المتلقّي كنتيجة منطقيّة بعد استيعاب المثل المضروب، إذ كيف يُعبد ما يعجز عن خلق ذبابة! فيتمّ الحبك بالتّناص الخارجي المتحقّق من استحقارهم للذباب، والتّناص الدّاخلي بين الآيّة وسابقتها التي تشير إلى ما يعبدون من دون الله ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ [156]، والمثل ليس تحقيرا للذباب، بل هو لتحقير آلهتهم التي يعبدون من دون الله، أمّا الذّباب فآيّة في خلقه، فقد ثبت علميا أنّه لا يملك جهازا هضميا بل يقع على الطّعام فيفرز إنزيمات تهضم الطّعام قبل أنّ امتصاصه بخرطومه، ممّا يستحيل معه استنقاذ ما سُلب منهم، وهذا أبلغ تحدٍ يختمه –سبحانه- بتعقيب موجز من خلال الجملة التّقريريّة (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) ملقيّة ظلالها في النّفس، إذ تُسوّى بين العابد وما يعبد من دون الله في الضّعف والعجز؛ ليتمّ الحبك بين آخر النّص وأوّله فيعود المشتقّان المعرّفان بالـ(اسم الفاعل (الطّالب) واسم المفعول (المطلوب)) على الفاعل (واو الجماعة في الفعل تدعون)، والمفعول (الضّمير المحذوف ويفسّره الاسم الموصول "الذين") في قوله تعالى: (إِنَّ الذينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ) ويفيد أسلوب الشّرط (إن+ يسلبهم+ لا يستنقذوه) أنّ الأمر حادثٌ متجدّد في كل زمان ومكان؛ فالذّباب إذا وقع على شيء سُلّط عليه، لذا كان ضرب المثل به أثبت للمعنى من وجهين، أوّلهما:

المنارة للاستشارات

تمام عجزهم عن خلق اقل المخلوقات فما بالهم بكبيرها، والثّاني عجزهم عن التّغلّب على ذاك المخلوق الضّعيف فما بالهم بخالقه؛ لذا يعجب سبحانه من تجرؤهم بعد هذا الضّعف الذي حبك معناه باستخدام حرفي نفي مختلفين (لن- لا) فنفى قدرتهم على خلق الذّباب بـ (لن) لتفيد استحالة قدرتهم مجتمعين أن يخلقوا ذبابة والاستحالة هنا فيما يستقبل من الزّمان لهم ولسواهم ممّن يظنّون أنّهم قادرون على ذلك مستقبلا –هيهات- فالخلق مناف لقدرات البشر، وهو ما أفادته (لن) التي من خواصِّها تخليص الفعل للاستقبال، ثم نفى قدرتهم على استنقاذ ما يسلبهم الذّباب بـ (لا) في قوله (لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ) ليكون النّفي قطعيا مطلقا لاستحالتّه.

النّمل: ورد ذكر قصّتها مع سليمان عليه السّلام على سبيل التّكريم وجعلت إحدى طوال السّور باسمها قال تعالى مسجلا مقولتها البليغة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [157]، والآيّة على قصرها جمعت أحد عشر جنسًا من الكلام: النّداء (يا)، والكنايّة (أيّ)، والتّنبيه (ها) والتّسميّة (النّمل)، والأمر (ادخلوا)، والقصص (مساكنكم)، والتّحذير (لا يحطمنكم) والتّخصيص (سليمان)، والتّعميم (جنوده)، والإشارة (وهم)، والعذر (لا يشعرون) فأدّت بذلك خمسة حقوق: حق الله، ورسوله، وحقّها، وحق رعيتها وحق جنود سليمان [158] فكانت نتيجة إيجابيتها تخليد مقولتها، وتكريم فصيلها بتحريم قتله: قال رسول الله ﷺ: (يحرم قتل أربعٍ من الدّواب النّملة والنّحلة والهدهد والصّرد) [159] وهكذا تحقّق التّناص الدّاخلي في الآيّة بتوالي الأدوات: نادت، ونبهت فأمرت فحذّرت، فعلّلت، فعذّرت في خطابها لقومها حيث يظهر التّنكير في كلمة (نملة) أنّها فرد من أمّتها، وليست الملكة أو القائد قائلة: (يا أيّها النّمل) بـ (أداة النّداء يا + أي + ها التّنبيه) فتردف بالأمر مباشرة لقرب وقوع الخطر لتناسب السّياق (ادخلوا مساكنكم) باستخدام فعل الأمر، وإضافة المساكن لهم، لتتبع الأمر بالتّحذير من الخطر القريب، وبيان نتيجة وقوعه (لا يحطمنكم)، فإن كانت كلمة المساكن تستدعي

المنارة للاستشارات

صورة الأمان والسّكينة والصّورة بضدّها تتّضح، فإن (يحطمنّكم) مع نون التّوكيد الثّقيلة للمبالغة في خطر التّحطّم والفناء، وجدير بالذّكر اكتشاف العلماء حديثا أنّ جسم النّملة مركّب في معظمه من مادّة السّليكون التي تدخل في صناعة الزّجاج فكان الفعل تحطّم أدق لفظ للدلالة على المعنى، وإن كانت الآيّة تشير إلى موقف النّملة على وجه الخصوص إلاّ أنّ طريقة حبكها يسوق المتلقّي إلى حملها على العموم فالنّملة كائن اجتماعي يعيش في قبائل كبيره (وكذا قريش) فإن استمع النّمل لإحداها حين حذرت من خطر داهم، فالأولى أن تسمع قريش تحذير رسول الله لهم وإن كان فردا منهم ولو لم يكن زعيما أو قائدا وتتناص الآيّة مع فاتحة السّورة التي تطالبهم بعدم استعجال عذاب الله الواقع لا محالة بقوله تعالى: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)، أي: هو واقع متحقّق في حينه فلا تستعجلون عذابه.

النّحل: سورة النّحل مكّيّة عدا ثلاث آيات [160] تعالج موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهيّة والوحي والبعث والنّشور، وآيات إبداع الخلق بصور ومشاهد حيّة تحيل إلى أنّ وراءها خالق عظيم، والنّحل من عجيب صنع الله الدّال على تمام ألوهيته سبحانه فالنّحل يعيش في مجتمع عماده التّعاون والتّكامل، ونظامه الدّقيق أمر تكويني فُطر عليه دل على ذلك سياق الآيّة وابتدائها بـ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [161] فابتُدِئت الآيّة بواو تعطف جملة من نعم الله المعروضة في سياق الآيات تباعا أولها الإلهام الإلاهي الغريزي باتخاذ النّحل بيوتا، لتنتج لابن آدم شرابا مختلفا ألوانه، ثم النّظام الرّباني الدّقيق الدّاعي إلى التّفكر والتّدبر، ليعلم الإنسان أنّ تلك الأنظمة بدقّتها والآيات الكونيّة على كثرتها والمخلوقات جميعا صغيرها وكبيرها تشهد على أن للكون ربّاً واحداً. (والكاف) المضافة إلى (رب) لمخاطبة رسول الله في سياق سرد بعض النّعم لمؤانسته لذا كان التّعبير بـ "رب" وليس "إله" لما تستدعيه الأولى في ذهن المتلقّي من معاني الإحاطة والحمايّة، والرّعايّة، وليتحقّق

المنارة للاستشارات

الحبك بين إلهام النّحل وعنايّة الرّب به فيقع في قلب المتلقّي وعقله عنايات ربه له في جميع أحواله.

فإن كان النّحل على صغره يوحى إليه، ويؤمر فيطيع، ففي اللفظ إحالة لوحي الله لرسله وطاعتهم له يفسره (أن) التّفسيريّة في قوله تعالى: (أن اتّخذي) وهو ما سبق من الإيحاء، و(من) في قوله تعالى (من الجبال بيوتا ومن الشّجر وممّا يعرشون) للتبعيض؛ فالنّحل يبني خلاياه بالجبال، والشّجر، والبيوت بعضها وليس كلّها والاستخدام اللغوي لكلمة (يعرشون)، أي: ما يبنيه البشر من أسقف، أو بيوت أو أسوار سواء أكانت معدّة للنحل أم غير ذلك، توضّح المعنى أمّا التّرتيب في الآيّة بتقديم الجبال على الشّجر يليهما ما يعرشه البشر فيناسب سهولة الاتخاذ وتوفره فالاتخاذ في الجبال أوسع لأنّ من الجبال ما فيه شجر، يليها انتشار النّحل في الأشجار، وآخرها ما يبنيه البشر من البنيان على صعوبة ذلك ليتمّ الحبك باختيار اللفظة المناسبة وترتيب تلك الألفاظ في النّص؛ ليصل المعنى تاما لمتلقي النّص.

الحيّة/ الثّعبان: تكرّر ذكرها ثلاث مرّات جميعها في قصّة موسى عليه السّلام- مرّة (حيّة) ومرتين (ثعبان)- ولكل دلالتّه المختلفة باختلاف السّياق فذكرت مرّة حين آنس موسى مع أهله نارا في طريق عودته من مدين إلى مصر وجاءه الأمر الإلاهي أن ألقِ عصاك ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [162]، والحيّة في اللغة الثّعبان الصّغير ممّا يشاهد في الصّحراء، فالمقام هنا مقام تمهيد لا تخويف والمراد رؤيّة المعجزة واستيعابها بلا خوف أو هلع، فمسافر الصّحراء يتوقع رؤيّة بعض الحيّات وعلى الرّغم من ذلك فرّ موسى مبتعدًا، ولم يعقب إلاّ بنداء الله له﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ [163]، ليريه الله قدرته ويعدّه لما هو قادم من مواجهة فرعون وملئه، ليتكرّر المشهد يوم لقاء موسى وفرعون لكن العصا تنقلب هذه المرة ثعبانا ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [164]- ضخما- مخيفا لفرعون المتجبّر بملكه وجنده وهو مقام ترهيب وتخويف ليرى الملأ ذعر القائل: أنا ربّكم الأعلى، فكان التّدرج لتثبيت

المنارة للاستشارات

فؤاد موسى حتى إذا ما كان يوم التّحدي الأعظم –يوم الزّينة– انقلبت عصا موسى إلى ثعبان فاعل يأكل إفك السّحرة على مرأى من فرعون، وملئه، والنّاس في مقدّمتهم السّحرة الذين علموا يقينا أن الثّعبان ليس سحرا، ولا تخييلا بل هي قدرة لا تكون إلاّ لإلـه ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [165] لذلك كانت النّتيجة المباشرة ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [166] والثّعبان ثيمة النّص في كل الأحوال اختاره الله سبحانه دون سائر الحيوانات المخيفة؛ لأنّ وسائل السّحر والشّعوذة كانت منتشرة بمصر في تلك الفترة ممّا يجعل التّأثير على مثل هؤلاء القوم أكثر عمقاً وأبعد أثراً، وخاصّة لو قدّمت لهم الأدلّة والبراهين في صورة تتّفق مع معتقداتهم في زمن كانت الفراعنة تقدّسه وملوكهم يجعلون رأس الثّعبان أعلى عصيهم وواسطة تاجهم فكان رمز قوّتهم وملكهم لذا جُعل أداة تخويفهم، وهو من وسائل السّحر والسّحرة فجعل آكلا لألاعيبهم، ليكون التّحدي بجنس العمل.

الأسماك: كانت الأسماك دائما رمزا روحيّاً يدل على الوفرة، والتّكاثر والخير ورغد العيش ترسّخ ذلك في وعي البشريّة على امتداد الحضارات المختلفة منذ الحضارة الفرعونيّة حتى العصر الجاهلي، فاستعملت وشما وتعويذة على باب البيت لحفظ أهله، وعلى مهد المولود لدفع الحسد، ووشم السّمكة شائع في إفريقيا بالأخص تونس ومصر، وتحديدا في الصّعيد والنّوبة ذُكرت في القرآن تلميحا بلحم طري﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [167]، وتصريحا بلفظ (حوت) ثلاث مرّات ومن عجبٍ أنّ ثلاثتها يصاحبها قلّة صبر!

كانت فتنة لبني إسرائيل حين حُرم عليهم الصّيد يوم السّبت؛ فتأتيهم حيتانهم شرّعا يوم سبتهم، ثم تختفي بقيّة الأسبوع؛ لينظر الله طاعتهم لأمره، فلم يصبروا على ذلك واصطادوها بحفر حفرة ليلة السّبت حتى إذا دخلت بها الأسماك أخذوها الأحد تحايلا على أمر الله، ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ

المنارة للاستشارات

يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [168]، والقصّة ترد في سياق خاص عن بني إسرائيل، لكنّها عامّة لكل البشر، إذ ابتُدِئت الآيّة بـ (وَاسْأَلْهُمْ) والهاء عائدة على يهود المدينة، فقصّة السّبت معلومة لديهم يكتمونها عن غيرهم حتى لا يعيّروا بها ويتّضح من الآيات أنّ أهل تلك القريّة على ثلاث فئات كما تظهر الضّمائر في الآيات: فئة ضالّة تحايلت على أمر الله بصيد الحيتان ليلا مع تركها في الماء ثم أخذها صبيحة الأحد، وفئة تعظ العصاة لعلّهم يرجعون، وفئة اعتزلت هؤلاء وهؤلاء فلا وعظت ولا اجترأت على محارم الله، فكانت العاقبة أن مُسِخوا جميعا قردة عدا الفئة الواعظة [169] والقصّة منثورة في سور القرآن عدّة مرات، ففيها إشارة لقدرة الله على العصاة المتجرئين على شرعه، فإن كان السّياق اللغوي قد حُبك بسرد القصّة بتفاصيلها مستعينا بإحالات الضّمير، فإنّ سياق الموقف أتم ذلك الحبك بإعادة مشاهد القصّة حيّة في أذهان اليهود الذين يخالفون أمر الله مجدّدا بتكذيب رسوله وهو مذكورا عندهم في التّوراة أعني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحاب السّبت- في تحذير مباشر للمخالفين.

وللنص غرضٌ عام بتذكير المسلمين أنّ "الدّين النّصيحة" كما ورد في عدّة سياقات قرآنيّة، فسدّت القصّة بابا من أبواب دخول الشّيطان للناصح بألاّ فائدة من نصح من لن يستمع إليه، فتورد الحوار كاملا بين الفئات الثّلاث، ليأتي مشهد الختام بمسخ العاصي والسّاكت عنه لتكون الفئة النّاصحة هي النّاجيّة ولو لم يُستمع لها؛ ليترسخ في ذهن المتلقّي أنّ الله يحاسب الإنسان على السّعي لا النّتيجة وهو ما يؤكّده تعالى بقوله: (**وأنّ ليس للإنسان إلاّ ما سعى**) [170] ولم يشترط أن يكلّل سعيه بنجاح.

المنارة للاستشارات

والحوت ثيمة النّص في رحلة موسى للبحث عن الخضر–عليهما السّلام- فيؤمر بأخذه مشويا للتقوُّت به، ثم يكون معجزة بعث حين يتّخذ سبيله في البحر سربا ليدلهم على مكان الخضر الذي يستدلّون عليه بقص آثار أقدامهم بحثا عن مكان ضياع حوتهم ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [171]، وما ذلك إلاّ تربيّة إلهيّة تُدرِّج موسى في منازل الصّابرين، فيصبر على مشاق الرّحلة، ثم يصبر على مصاحبة الخضر، وإن لم يفهم حكمة جريان الأمور: خرق السّفينة، وقتل الغلام وبناء الجدار فيكن ذلك تمهيدا للصبر على مشاق الدّعوة.

ومن الجدير أن نذكر أنّ الحوت المقصود هنا لا يُظن عقلا ولا نقلا أنّه حيوان الحوت أكبر مخلوقات الأرض، بل هو السّمكة المشبعة كوجبة - في أصحّ الأقوال- لاستحالة حمل موسى وفتاه لحوت، وقد أشارت الآيّة صراحة إلى أنّه غداؤهما، ومن المعروف أن بعض البلاد كليبيا، وتونس، والبحرين، وأهل سيناء- كانوا ولا يزالوا- يسمّون كل سمك "حوت" ويقال لمن يعمل بصيد السّمك أو بيعه "حوّات" وأشارت أحدث الدّراسات الجيولوجيّة [172] إلى أنّ "مجمع البحرين" مكان وقوع الأحداث هو التّقاء خليج العقبة بخليج السّويس بمنطقة "رأس محمّد" بمدينة "شرم الشّيخ" بمصر وأهالي تلك المنطقة يطلقون على السّمك حوتا.

أمّا حوت يونس- عليه السّلام- ، فكان عقوبة خروجه مغاضبا قومه معتزلا إياهم؛ لكفرهم ويأسه من اتعاظهم ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [173] ليكن تمحيص الله له بأن يلتقمه الحوت ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [174] ليجأر بدعوته (**لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين**) مدركا ذنبه بقلة صبره على قومه مستغفرا ربه لينقذه سبحانه من ظلمات ثلاث ظلمة الليل، والبحر، وجوف الحوت.

المنارة للاستشارات

والسّمكة ذات رمزيّة إيجابيّة في جميع الحضارات فهي "رمز التّجدّد في الميثولوجيا قاطبة من الأساطير العربيّة، والحضارات السّاميّة، والمعتقدات الدّينيّة وغالبا ما يدل هذا المخلوق على الانبعاث" [175]، والقرآن تناص خارجيا مع تلك المعتقدات، ليدلل برمزيّة الحوت على انبعاث جديد لأبطال القصص فكانت مخالفة أمر الله من بني إسرائيل حين اعتدوا في السّبت انبعاثا لحياة المخالفين مسوخا على هيئة قردة سواء أكان المسخ حقيقة أم مجازاً (على اختلاف آراء العلماء والمفسّرين) إلاّ أنّه انبعاث مغاير لهيئتهم التي كانوا عليها قبل وقوع العقاب، أمّا حوت موسى فهو دليل انبعاث لعوالم خفيّة أطلع الخضر موسى عليها ليريه لطف الله في تدبير أمور خلقه، وإن خفيت الحكمة عن أفهام البشر.

وحوت يونس سجن مؤقّت أطبقه الله عليه؛ لينبعث منه نبيا لقوم صالحين تابوا فتاب الله عليهم ليعلم أن غضبته وإن كانت لله، فإنّه أرحم الرّاحمين يمهل خلقه ريما تابوا وأصلحوا، وهو الذي يكشف البلاء ويسمع الدّعاء، ولو في جوف حوت.

ليتلقّى قارئ تلك النّصوص الإشارة في القصص جميعا أنّ لله لطيف حكيم خفي سواء أتت حكمته مشرعة ظاهرة مفهومة، أم غاصت في الأعماق، إلاّ أنّ الأمر كلّه في الامتثال لطاعة الله اتقاءً لعذابه وسخطه (كأصحاب السّبت) والصّبر على المخالفين فربهم أقدر على هدايتهم (كذي النّون) والصّبر على التّعلم والثّقة في رحمة الله، ولو خفيت عن الأفهام (كموسى والخضر)، فإن عاش الإنسان بهذه المبادئ الثّلاثة مجتمعة تَحقّق وعد الله له (فلنحيينه حياة طيبة) [176] وافرة الخير والبركات، وهو ما يرمز له السّمك في الذّهنيّة الإنسانيّة في الحقيقة والأحلام فيوظف القرآن كل ذلك في انسجام تام يجعل التّأويل المحلّي لمتلقي النّص أداة لوصول غرض المنشئ – سبحانه- .

وهكذا يثبت النّص القرآني قدرته على الإبلاغ في كل زمان ومكان محقّقا أعلى درجات القبول على اختلاف المتلقّين، ليس لأنّه (**تنزيلٌ من ربّ العالمين**) [177] فحسب بل لتوافر أدوات الحبك التي تحقّق الانسجام بين الآيات والسّور بالتّناص الدّاخلي

المنارة للاستشارات

الذي يربطها معا كوحدة نصيّة واحدة، والتّناص الخارجي الذي يراعي الموروثات الثّقافيّة والاجتماعيّة والعقديّة، فيتردّد صداها في القرآن من غير تعارض يصدّ المتلقّي عن قبول النّص بل ربما وجد العربي تكرارا لحكمة أو مثل أو أسطورة تتضافر جميعا؛ لتحقيق أعلى درجات القبول النّفسي والعقلي وهو غرض القرآن الرّئيسي.

نتائج البحث:

1- اهتم العرب بالحيوان، وشكله، وطباعه المستأنس منه والضّاري، فضربوا به الأمثال وأوقفوا عليه القصائد الطّوال، وألّفوا عنه الرّسائل والكتب منذ فجر تاريخهم.

2- نظر الإسلام للحيوان نظرة متّزنة فجعل له حقا، وحرمة أشير لها تلميحا وتصريحا غير مرة.

3- القرآن منهاج حياة ضرب المثل بالحيوان كونه وثيق الصّلة بالإنسان فكثف حضوره بالتّكرار؛ ليدني الصّورة من النّفس، ويرسخ الفكرة في العقول والقلوب تحقيقا للقبول.

4- ذكر الحيوان في القرآن على وجهين: أولهما حقيقي مثل تعدّاد نوعه بسورة الأنعام أو تبيان ما يحرم أكله كالخنزير، وثانيها ضرب المثل تشريفا كالخيل، أو لفتا لإعجاز خلق كالإبل، أو تنفيرا من سلوك كالحمار والكلب.

5- ارتبطت رؤى الحيوان في المنام برموز ودلالات سلبيّة وإيجابيّة منذ أمد بعيد وهو ما لم يخالفه النّص القرآني، بل أبرزه وأعلاه في رؤيا الملك وسبعه السّمان والعجاف.

6- لم يكن ذكر الحيوان في بعض الآيات فقط بل جعلت سبع سور من القرآن بأسماء حيوانات، أي ما يعادل نسبة 6٪ من مجموع السّور القرآنيّة.

7- أكثر السّور ذكرًا للحيوان **الأعراف** حيث تحدثت عن عشرة أصناف هي: الإبل والبقر، والثّعبان، والجراد، والسّمك، وطائر السّلوى، والضّفادع والقمّل، والقردة والكلب.

المنارة للاستشارات

8- تندرج الحيوانات المذكورة في القرآن الكريم تحت أربعة أنواع هي وفق كثرة ورودها: أ) الثّديات (13نوعا) منها 4 مجترة، و3 من الجوارح (أسد- كلب –ثعلب) واثنان من المسوخ (قرد– خنزير)، وأربعة من الرّكوبة (الخيل- البغال- الحمير- الفيل).

ب) الحشرات (8 أنواع).

ج) الطّيور (3 انواع).

د) الأسماك والبرمائيات والزّواحف، وهي: الحوت- الضّفادع- الحيّة- الثّعبان بنوع واحدٍ لكلٍ منها.

9- جُعل الحيوان - غير مرّة- ثيمة النّص القرآني، فضرب به المثل قويَّه وضعيفه فخالقهم جميعا هو الله يجعل سورة الفيل من السّور القصار والنّمل والنّحل من طوالها، فالعبرة في الحياة بالفاعليّة لا الحجم.

10- يعمل النّص القرآني على تنشيط العقل والإحساس معا، فتخاطب الدّلالات النّفسيّة ضمير المتلقّي في حين تخاطب الدّلالات اللغويّة ذهنه؛ لينفتح على النّص القرآني عقل المتلقّي وقلبه.

11- المعجم القرآني معجم معجز تفرّدت كلماته بمعان خاصّة ذات دلالة إيحائيّة، وإن اشتركت مع غيرها بمعناها العام، فتنكشف بها دوما أسرارا جديدة للإعجاز اللغوي ك (خيل)، و(جياد)، و(عاديات)، وإن دلت على جنس الخيل عموما إلا أن معناها اختلف باختلاف السّياق.

12- للتناص دور عظيم في معالجة النّص القرآني لما له من آليات تسبر أغوار النّص، فيكون كلا واحدا محبوكا يحقّق أعلى قدر من المقبوليّة لدى المتلقّي غرض القرآن الأساسي، وما لم يغفله الرّعيل الأول من المفسرين.

المنارة للاستشارات

13- للنصوص الموازيّة دور كبير في فهم القرآن، وبها ترصد تفاعلات النّص مع الدّلالات العلميّة، والتّاريخيّة، والاجتماعيّة؛ فتتأسس بذلك حواريّة ممتدة بين النّصوص.

طواعيّة النّص القرآني لتعدّد التّفاسير ناتج عن التّناص الدّاخلي بين آيات القرآن جميعا، وعلاقة أول الآيّة بآخرها، وربطها في سياق معجز بسابقها ولاحقها ثم تفاعل النّص القرآني كوحدة متكاملة مع النّصوص المقدسة الأخرى–التّوراة والإنجيل- وغير المقدسة–الأمثال والأساطير- ممّا يحقّق أعلى مستويات حبك النّص، وأعلى مستويات الفهم والقبول.

1- لم يخالف النّص القرآني الموروث الثّقافي العربي في سياقه، بل وثق تلك الموروثات ممهدا بها الطّريق لقبول المتلقّي، فلما كانت العرب تعظم الإبل سيقت ناقة صالح مثلا، ولما كان السّمك رمز الانبعاث الجديد سيق الحوت مثلا، ولما كان الغراب نذير شؤم بعث معلما لصاحب أشام جريمة في تاريخ البشريّة ولأنهم يحقرون الذّباب ضرب لعجزهم مثلا، وكذا كل حيوان ضُرب في القرآن مثلا.

والحمد لله وكفى وصلاة على عباده الذين اصطفى

سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المنارة للاستشارات

المصادر والمراجع:

أوّلا: القرآن الكريم.

ثانيا:

1. آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، دار نينوي.
2. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط5، 1984م.
3. أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدّين القرطبي (ت 671هـ) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي مؤسسة الرّسالة، الرّياض ط1، 2006م.
4. أحمد إسماعيل أبو يحيى: الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين، المكتبة العصريّة بيروت، لبنان ط1، 1417هـ.
5. أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النّيسابوري (ت 518هـ): مجمع الأمثال تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، طباعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
6. إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق أحمد عبد الغفور دار الكتاب العربي القاهرة.
7. أحمد مختار عمر:
   - معجم اللغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، الطّبعة1، 2008م.
   - علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993م.
8. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي أبو الفداء عماد الدّين (ابن كثير) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمّد السّلامة، دار طيبة، القاهرة 1999م.
9. امرؤ القيس: ديوانه، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر 1984م.
10. جار الله الزّمخشري: الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
11. جمال الدّين محمّد بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان 1955م.
12. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت ط1 1970م.
13. حمود الغزلاني: موسوعة مملكة الحيوانات، دار الرّاتب الجامعيّة، ط1 2003م.
14. خير الدّين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس الزّركلي الدّمشقي (ت 1396هـ): الأعلام دار العلم للملايين، ط15، 2002 م.
15. ردة الله بن ضيف الله الطّلحي: دلالة السّياق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى معهد البحوث العلميّة، مكة المكرمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1423هـ .

المنارة للاستشارات

16. روبرت ديبوجراند: النّص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة مصر 1998م.

17. سعيد بحيري: علم لغة النّص- المفاهيم والاتجاهات مكتبة لبنان ناشرون - لونجمان ط1 1977م.

18. سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة ط40 2013 م.

19. الشّريف الرّضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن تحقيق وتقديم: الدّكتور علي محمود مقلد منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

20. شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1 1414هـ.

21. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشّعر العربي، دار المعارف، مصر.

22. طرفة بن العبد: ديوانه، شرح وتقديم: مهدي محمّد ناصر الدّين، دار الكتب العلميّة لبنان، بيروت ط2002،3م.

23. عادل نور: الدّين حوار أم جدل، مكتبة الرّشد، ط1، 1427هـ.

24. عبد الرّحمن بن أبي بكر جلال الدّين السّيوطي (ت911هـ): الإتقان في علوم القرآن تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب 1394هـ/ 1974 م.

25. عبد الوهاب عزام: الصّيد في الأدب العربي، مجلة الرّسالة، العدد 527 1943م.

26. عدنان محمّد زرزور: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه المكتب الإسلامي.

27. علي زيغور: الكرامة الصّوفيّة والأسطورة والحلم، دار الأندلس، 1984م.

28. عمر عبد الواحد: التّعلق النّصي، دار الهدى للنشر والتّوزيع، 2003م.

29. عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السّلام هارون، النّاشر مصطفى البابي الحلبي ط2، 1995.

30. عنترة بن شداد بن عمرو بن معاويّة بن قراد العبسي (ت 22ق.هـ): ديوانه دار الكتاب العربي، ط1 1992م.

31. لطفي عبد البديع: التّركيب اللغوي للأدب – بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا دار المريخ الرّياض 1998م.

32. مارسيلو داسكال: الاتجاهات السّيميولوجيّة المعاصرة، ترجمة حميد الحمداني وآخرين منشورات إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، 1987م.

المنارة للاستشارات

33. محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671): الجامع لأحكام القرآن، المكتبة الإسلاميّة القاهرة 1981م.

34. محمّد الأخضر الصّبيحي: مدخل إلى علم النّص، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون 2008م.

35. محمّد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصّحيح للبخاري، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة الحرم المدني، السّعوديّة، ط1، 1429هـ.

36. محمّد بن بهادر الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة بيروت، 1391هـ.

37. محمّد الشّاوش: أصول تحليل الخطاب، كليّة الآداب، جامعة منوبة، المؤسّسة العربيّة للتوزيع تونس، 2001م.

38. محمّد الصّباغ: التّصوير الفني في الحديث النّبوي، المكتب اسلامي للطباعة والنّشر ط1 1988م.

39. محمّد بن الطّيب الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق :السّيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط5 1997م.

40. محمّد عبد الرّؤوف المناوي: فيض القدير، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان 1402هـ.

41. محمّد عبد المعيد خان: الأساطير العربيّة قبل الإسلام، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة القاهرة 1937م.

42. محمّد عزام: النّص الغائب تجليات التّناص في الشّعر العربي – دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

43. محمّد العفيفي: القرآن –تفسير الكون والحياة، منشورات ذات السّلاسل الكويت 1986م.

44. محمّد علوش: مناهج تحليل الخطاب القرآني في الفكر العربي المعاصر صفحات للدراسات والنّشر 2017م.

45. محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشّوكاني اليمني (ت 1250هـ): فتح القدير دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، ط1، 1414هـ

46. محمّد بن يعلى بن عامر بن سالم الضّبي: المفضليات، تحقيق: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال بيروت، 2004م.

47. محمّد بن موسى بن عيسى بن علي الدّميري: حياة الحيوان ، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان ط2 1424هـ.

48. محمّد بن يوسف الأندلسي، أبو حيان: تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان ط1 2001م.

المنارة للاستشارات

49. مسلم بن حجاج أبو الحسن النّيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت ، ط3، 1493هـ.

50. ميمون بن قيس بن جندل المعروف بأعشى قيس (ت629): ديوانه، شرح وتعليق محمّد حسين مكتبة الآداب بالجماميز، (د ت).

51. الفرزدق: ديوانه، شرحه علي فاعور، ط1، دار الكتب العلميّة، 1407هـ.

52. النّابغة الذّبياني: ديوانه، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

53. نوري حمودي القيسي: الطّبيعة في الشّعر الجاهلي، عالم الكتب للطباعة والنّشر والتّوزيع 1984م.

54. هيثم هلال: أساطير العالم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ.

55. وهب روميّة: الرّحلة في القصيدة الجاهليّة، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1979م.

الدّراسات:

1. أحلام عبد الله سليمان صالح: صورة الحيوان والطّير في القرآن الكريم- دراسة بلاغيّة رسالة ماجستير، إشراف: أستاذ دكتور/ خليل عودة، جامعة النّجاح الوطنيّة، كليّة الدّراسات العليا، فلسطين 2012م.

2. عفاف بنت أحمد العبدلي: التّشبيه بالحيوان في الحديث النّبوي- دراسة تحليلة وصفيّة، ماجستير إشراف: أستاذ دكتور/ نجاح بنت أحمد الظّهار، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم لغة عربيّة، بلاغة جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعوديّة 2010م.

1. عمر عليوي: أسماء الحيوان في القرآن- دراسة دلاليّة ومعجم، رسالة ماجستير إشراف دكتور الزّهير القلي كليّة الآداب واللغات، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر 2011م.

المواقع:

1. تفسير الطّبري: آيات القرآن الكريم مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود. : https://www.alhamdlilah.com/quran/1.html#ixzz5eQUAZheV

2. جريدة العربيّة نت http://ara.tv/gpkkq الثّلاثاء، 6ربيع الأوّل 1438هـ- 6 ديسمبر 2016م.

3. قناة ناشونال جيوغرافيك Female Black a idow Spider andling رابط https://www.youtube.com/watch?v=7v_uJkYi49Y

المنارة للاستشارات

الهوامش:

[1] محمّد عبد المعيد خان: الأساطير العربيّة قبل الإسلام، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة القاهرة 1937م، ص60.

[2] ربيعة بن مقروم بن قيس الضّبي من شعراء الحماسة، مخضرم، وفد على كسرى في الجاهليّة وشهد القادسيّة

راجع: خير الدّين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس الزّركلي الدّمشقي (ت1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج3، ص43.

[3] محمّد بن يعلى بن عامر بن سالم الضّبي: المفضليات، تحقيق: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال بيروت، 2004م، ص108.

[4] أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدّين القرطبي (ت671): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التّركي، مؤسسة الرّسالة، ط1، 2006م.

[5] سورة الملك: 14

[6] مارسيلو داسكال: الاتجاهات السّيميولوجيّة المعاصرة، ترجمة: حميد الحمداني وآخرين منشورات إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، 1987م، ص7. (بتصرف)

[7] إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط5، 1984م، ص107.

[8] محمّد العفيفي: القرآن–تفسير الكون والحياة، منشورات ذات السّلاسل، الكويت،1986م ص9.

[9] لطفي عبد البديع: التّركيب اللغوي للأدب – بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، دار المريخ، الرّياض 1998م، ص67.

10 سعيد بحيري: علم لغة النّص- المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون - لونجمان ط1 1977م.ص146

[11] محمّد الأخضر الصّبيحي: مدخل إلى علم النّص، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون 2008م ص70.

[12] جمال الدّين بن محمّد بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1955م ج12/ ص1280.

[13] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008م ج2/ص1037.

[14] عند محمّد خطابي الانسجام، وترجمه تمام حسان بالالتّحام، ومحمّد مفتاح التّشاكل، أي: التّماسك الدّلالي والتّنسيق، بينما ترجمه سعد مصلوح ومحمّد العبد الحبك.

[15] لسان العرب: 2/ 759.

[16] سورة الذّاريات: 7

المنارة للاستشارات

[17] عمر عبد الواحد: التّعلق النّصي، دار الهدى للنشر والتّوزيع، 2003م، ج1/ 12

[18] محمّد عزام: النّص الغائب تجليات التّناص في الشّعر العربي- دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص48.

[19] في لسان العرب: "السّوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وتساوقت الإبل إذا تتابعت"، ومنه قوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)21ق، وقال الزّمخشري (ت538هـ): "جئتك بالحديث على سوقه، أي: سرده".

[20] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطّلحي: دلالة السّياق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى معهد البحوث العلميّة، مكة المكرمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1423هـ ص50- 51.

[21] محمّد علوش: مناهج تحليل الخطاب القرآني في الفكر العربي المعاصر، موقع صفحات للدراسات والنّشر، 2017م، ص51

[22] كان سيبويه يحكم بضرورة الإحالة على السّابق بضمير، وإلا يصبح الكلام غير حسن فيليه المبرد الذي يؤكد على أن اللفظ الواحد اسما كان أو فعلا لا يفيد شيئا إلا إذا أحدث معنى، أما القولة الخالدّة (لكل مقام مقال)، فتؤكد أن علماء العربيّة سبقوا علماء الغرب بقرون طوال بجعل فكرتي المقام والمقال من أسس تحليل المعنى غير أن دراستهم كانت جهودا فرديّة، بينما علماء الغرب جهودهم جماعيّة.

[23] أحمد مختار عمر: علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993م، ص68.

[24] محمّد الشّاوش: أصول تحليل الخطاب، كليّة الآداب، جامعة منوبّة، المؤسسة العربيّة للتوزيع تونس، 1/ 117

[25] أصول تحليل الخطاب: ص247.

[26] السّابق: 234- 235.

[27] لسان العرب 11/ 32

[28] مدخل إلى علم النّص: ص12.

[29] عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السّلام هارون، مصطفى البابي الحلبي ط2، 1995م ج3، ص268.

[30] الفرزدق: ديوانه، شرحه علي فاعور، ط1، دار الكتب العلميّة، 1407هـ، ص628.

[31] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1 1970م، ج6/ 816.

المنارة للاستشارات

[32] سورة الأنعام: 139

[33] هيثم هلال: أساطير العالم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ، ص33

[34] النّابغة الذّبياني: ديوانه، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، 74

[35] نوري حمودي القيسي: الطّبيعة في الشّعر الجاهلي، عالم الكتب للطباعة والنّشر والتّوزيع 1984م ص96.

[36] ميمون بن قيس (الأعشى الكبير): ديوانه، شرح وتعليق محمّد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز (د.ت)، ص83.

[37] شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشّعر العربي دار المعارف، مصر، ط1، ص18.

[38] طرفه بن العبد: ديوانه، شرح وتقديم مهدي محمّد ناصر الدّين، دار الكتب العلميّة، لبنان 2002م ط3، ص20.

[39] أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النّيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، طباعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج2، ص260.

[40] سورة يوسف: 70

[41] القرطبي: ج9، ص67.

[42] سورة الغاشيّة: 7

[43] وهب روميّة: الرّحلة في القصيدة الجاهليّة، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1979م، ص19.

[44] سورة الغاشيّة: 17

[45] الغاشيّة: 18- 20

[46] عدنان محمّد زرزور: علوم القرآن- مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي، بيروت ط1، 1981م، ص345.

[47] سورة الغاشيّة: 25.

[48] سورة المرسلات: 32:33

[49] المفضليات: ص129.

[50] سورة الأعراف: 40

[51] تفسير الطّبري: آيات القرآن الكريم مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود.

[52] سورة القمر:27

[53] السّابق:29

المنارة للاستشارات

[54] تفسير الطّبري: آيات القران الكريم مشروع المصحف الالكتروني بجامعة الملك سعود

[55] تفسير القرطبي: ص530

[56] المفضليات: 209.

[57] السّابق: 85.

[58] سورة القمر: 18

[59] السّابق: 43

[60] السّابق: 1

[61] السّابق: آيّة 16، 18، 21- 30

[62] السّابق: 37

[63] سورة لقمان: 18

[64] لسان العرب: مج4/ 456.

[65] المفضليات: 76.

[66] عنترة بن شداد بن عمرو بن معاويّة بن قراد العبسي (ت22ق.هـ): ديوانه، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1992م، ص22.

[67] امرؤ القيس: ديوانه، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1984م ص75.

[68] مسلم بن حجاج أبو الحسن النّيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط3، 1493هـ.

[69] مجمع الأمثال: ج2/ 134.

[70] أحمد إسماعيل أبو يحيى : الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين، المكتبة العصريّة بيروت، لبنان ط1، 1417هـ، ص61.

[71] سورة العاديات: 1

[72] السّابق: 2

[73] السّابق: 3، 4

[74] السّابق: 5

[75] السّابق: 6- 8

[76] السّابق: 9- 11

[77] سورة الأنعام: 1

المنارة للاستشارات

[78] سورة المؤمنون: 21

[79] سورة النّحل: 5:7

[80] سورة غافر: 79

[81] سورة النّحل: 65

[82] السّابق: 65

[83] السّابق: 67

[84] محمّد بن بهادر الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة بيروت، 1391هـ، ج3/ 360

[85] سورة العنكبوت: 60

[86] أبو الفضل شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط1، 1414هـ، ج21/ 11

[87] محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشّوكاني (ت1250هـ): فتح القدير، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، 1414هـ، ج4/ 211

[88] سورة الأنفال: 22

[89] سيد قطب: الظّلال، دار الشّروق، القاهرة، ط40، 2013م، ج5/ 2566.

[90] سورة البقرة: 67

[91] السّابق: 73

[92] سورة يوسف: 43

[93] سورة طه: 88

[94] سورة النّحل:8

[95] المفصل في تاريخ العرب، ج1/ ص202

[96] سورة البقرة: 259

[97] سورة لقمان: 19

[98] الجامع لأحكام القرآن: ج14/ 71- 72.

[99] سورة الجمعة: 5

[100] سورة الفاتحة: 7

المنارة للاستشارات

[101] سورة المدثر: 49- 51

[102] عدنان محمّد زرزور: علوم القرآن- مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص330

[103] عبد الوهاب عزام: الصّيد في الأدب العربي، مجلة الرّسالة، العدد527، 1943م ص195.

[104] حمود الغزلاني: موسوعة مملكة الحيوانات، دار الرّاتب الجامعيّة، ط1، 2003، ج1/ 69.

[105] سورة الفيل: 1

[106] محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671): الجامع لأحكام القرآن، المكتبة الإسلاميّة، القاهرة 1981م، ج20/ ص178

[107] سورة الفيل: 3

[108] سورة الكهف: 18

[109] سورة الأعراف: 175- 176

[110] قناة ناشونال جيوغرافيك: رابط المادة

https://www.youtube.com/watch?v=7v_uJkYi49Y

[111] سورة الإسراء: 24

[112] الشّريف الرّضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق وتقديم: علي محمود مقلد، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص139

[113] سورة الحجر: 88

[114] سورة الحج: 31

[115] سورة الإسراء: 13

[116] آرثر كورتل: أساطير العالم، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، دار نينوي، ص32

[117] تلخيص البيان في مجازات القرآن: ص149

[118] سورة الإسراء: 13

[119] إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ج2/ 728.

[120] سورة الأعراف: 131

[121] سورة يس: 19

المنارة للاستشارات

[122] محمّد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصّحيح للبخاري، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد مكتبة الحرم المدني، السّعوديّة، ط1429،1هـ، ج5/ 2158.

[123] سورة المؤمنون: 16

[124] سورة النّمل: 17

[125] السّابق: 21

[126] سورة النّمل: 22

[127] سورة النّبأ: 1

[128] عادل نور: الدّين حوار أم جدل، مكتبة الرّشد، ط1، 1427هـ، ص16.

[129] سورة النّمل: 25

[130] أبو بكر محمّد بن الطّيب الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: السّيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ط5، 1997م، ص78 وما بعدها (بتصرف).

[131] سورة البقرة: 260

[132] السّابق: 260

[133] سورة يس: 78

[134] السّابق: 79

[135] ديوان عنترة: ص36.

[136] الحيوان: 3/ 443.

[137] قناة ناشونال جيوغرافي: رابط المادة http://iswy.co/e11tp5 :

[138] سورة المائدة: 31

[139] السّابق: 25

[140] السّابق: 32

[141] السّابق: 33

[142] سورة القارعة: 4.

[143] سورة القمر: 7.

[144] موسوعة مملكة الحيوان، ج4/ 271.

[145] محمّد بن موسى بن عيسى بن علي الدّميري: حياة الحيوان، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط2 1424هـ، ج1/ 268- 269 (بتصرف).

المنارة للاستشارات

[146] سورة الأعراف: 133.

[147] أبو حيان محمّد بن يوسف الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط1 2001م، 8/ 174.

[148] سورة العنكبوت: 3.

[149] السّابق: 41

[150] جار الله الزّمخشري: الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج3/ 454.

[151] قناة ناشونال Handling a Female Black Widow Spider 2011م رابط https://www.youtube.com/watch?v=7v_uJkYi49Y

[152] سورة الأعراف: 38.

[153] السّابق

[154] سورة الحج: 72

[155] سورة الحج: 73

[156] السّابق: 71

[157] سورة النّمل: 18

[158] عبد الرّحمن بن أبي بكر جلال الدّين السّيوطي (ت911هـ): الإتقان في علوم القرآن تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م ص531.

[159] محمّد عبد الرّؤوف المناوي: فيض القدير، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، رواه أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان.

[160] سورة النّحل: من الآيّة 126: 128

[161] السّابق: 68

[162] سورة طه: 20

[163] السّابق: 21

[164] الأعراف: 107

[165] السّابق: 117

[166] سورة طه: 70

[167] سورة فاطر: 12

[168] سورة الأعراف: 163- 166.

المنارة للاستشارات

[169] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمّد السّلامة، دار طيبة، القاهرة،1999م، المجلد الثّاني، ص: 60 (بتصرف).

[170] سورة النّجم: 39

[171] سورة الكهف: 63

[172] جريدة العربيّة نت http://ara.tv/gpkkq الثّلاثاء 6 ربيع الأول 1438هـ- 6 ديسمبر 2016م.
جمعيّة الأثريين المصريين والمسح التّصويري الفضائي وتقنيّة التّصوير بالأقمار الصّناعيّة:
"كشف الدّكتور عبدالرّحيم ريحان/ مدير عام البحوث والدّراسات الأثريّة والنّشر العلمي بسيناء أن: "مجمع البحرين" المذكور بسورة "الكهف" في القرآن الكريم يقع بمنطقة رأس محمّد بشرم الشّيخ عند نقطة التّقاء خليج العقبة وخليج السّويس بجنوب سيناء. وذلك استنادا للدراسة العلميّة التي قام بها الأثري عماد مهدي، عضو جمعيّة الأثريين المصريين والمسح التّصويري الفضائي، باستخدام تقنيّة تصوير الأقمار الصّناعيّة والتي حددت موقع لقاء نبي الله موسى وسيدنا الخضر - عليهما السّلام- على أرض سيناء منذ حوالي 3200 سنة، مشيراً إلى أن التّوصيف اللغوي لكلمة "مجمع البحرين" لا ينطبق جغرافياً على أي مكان في العالم إلاّ في رأس محمّد، وهي مجمع خليجي العقبة والسّويس في بحر واحد هو البحر الأحمر ولفظ "مجمع" يختلف عن لفظ التّقاء.

[173] سورة الأنبياء: 87

[174] سورة الصّافات 142- 144

[175] علي زيغور: الكرامة الصّوفيّة والأسطورة والحلم، دار الأندلس، 1984م، ص181.

[176] سورة النّحل: 97

[177] سورة الواقعة: 80.

المنارة للاستشارات